نازك الملائكة ومساهمتها في الشعر العربي الحر

بحث جامعي

لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة

الباحث

صبغة الله

تحت إشراف

البروفيسور فيضان الله الفاروقي

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي

عام ٢٠٠٣م

مركز الدراسات العربية و الافريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

DECLARATION

I declare that the material in this Dissertation entitled **"Nazik al Malaika and her contribution to the free verses in Arabic Poetry"** submitted by me in an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Dated: 18-07-03

(Sibghatullah)

Research Scholar

F. U. Farooqui

(Prof. F.U. Farooqui)
Supervisor
CAAS/SLL & CS/JNU

F. U. Farooqui
Acting Chairperson

(Prof. M.A. Islahi) 30/7/03
Chairperson
CAAS/SLL & CS/JNU

Gram : JAYENU Tel.: 6107676, 6167557 Ext. 2253, TELEX : 031-73167 JNU IN Fax : 91-011-6198234, 6165886

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء ...

إلى أمي الحنون وأبي الكريم

رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي انزل الفرقان، خلق الإنسان وعلمه البيان والصلوة والسلام على سيد المرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

لا تـــزال العراق تلفت الأنظار إلى وقائعها السياسية والنشاطات العلمية منذ الحرب العالمية الأولى. وبما أن الحوادث في تاريخ شعب أو جيل من الأجيال لا تكون ولـــيدة عشية أوضحها إنها تستغرق فترة غير قليلة من الزمن فاذا تناولنا تاريخ العراق مـــن هـــذه الناحية وجدنا انها تتجدد فيها هذه الظاهرة متوالية مستمرة واحدة تلو أخـــرى. وكـــان المرجو من الأدب العربي أن يكون عهدا جديدا في العصر العثماني يسود فيه الراحة والطمانينة فكان الحكم العثماني عندئذ على ذروة عروجه وسطوته ولكـــن الحـــروب المستمرة قد أدت إلى تغير الظروف سلبيا. ولكن رغم ذلك نالت العراق قسطا كبيرا من الآداب والعلوم بل فاقت الدول العربية عامة بسبب سياستها السلمية.

بذلت العراق جهودا متواصلة للإحتفاظ بهذا التراث على الرغم مما أصابها من ضـــربات قاسية طوال الحروب والثورات ولا سيما التقلبات السياسية في التسعينات مـــن القرن الماضي والتي لا تزال تستمر حتى يومنا هذا، أدت العراق إلى الإضمحلال السياسي والفوضوية وما إلى ذلك من الصعوبات والمشاكل التي يواجهها عامة الناس وخاصتهم. فهذه الأوضاع قضت على الكثير من ثروتها الأدبية.

ومن حقيقة الأمر أن العراق دولة ممتازة بين الدول العربية التي كانت لا تزال تـــثمر بأثمارهـــا الناضجة في ميادين الأدب والثقافة وما إلى ذلك. تشد إليها الرحال

لأهـــداف متنوعة فردا وجماعة من أقطار العالم ونواحيها شرقا و غربا حتى في العصر الـــذي يعـــرف كـــل معرفة للخمود والجمود العلمي وإستكانة النشاطات الثقافية والاقتصادية ولو قلنا أن العراق كانت عندئذ مركز الثقافة العربية والحركات الأدبية لما بالغنا.

وإذا أمعنـــنا الـــنظر في الدول الأخرى، نجد أنه قد تطورت الفنون والآداب المتـــنوعة في تلك الدول ومنها الشعر الذي إتخذه الشعراء للتعبير عن مشاكل المجتمع وآلامه. ولتسجيل الأحداث والوقائع حتى صح فيهم ان يقال "الشعر ديوان العرب" ولذلـــك كان للشاعر أهمية بالغة ومكانة مرموقة لدى العرب في كل حين. والأدب العـــربي مليئ بالشعر منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحديث ولعب الشعر دوراً فعالاً هامـــا في كل عصر من العصور في ايقاظ الشعب ونفخ روح الحياة فيه إلا فترة من قلـــيلة الزمن وهاهو العصر العثماني في نفساتها النهائية قد ساد فيها الخمود والركود على الأدب العربي شعرا ونثرا حتى انبثق فجر النهضة الحديثة وأتت بالصحوة واليقظة وبـــدأت تتطور الحياة في كل مجال من مجالاتها والتقت الحضارة العربية الإسلامية مع الحضـــارة الغربية الأوربية ومزجت الثقافة الإسلامية الثرية الغنية مع الثقافة الأوربية الغربية وأستفادت وأفادت وبالتالي برزت إتجاهات وتيارات أدبية حديثة وترحب بها الادبـــاء والشعراء مع الحفاظ على مبادئ العربية الأصيلة ونشأت جمعيات أدبية مثل "الديـــوان والرابطة القلمية وجماعة أبو لو وغيرها حتى اقيمت نقابة الأدباء وعقدت ندوات ومؤتمرات تحت إشرافها في مصر وسورية والعراق وتكللت بالنجاح وأسفرت عـــن النـــتائج المثمرة وجاءت بإبداعات وإنتاجات استفادت منها الأوساط العلمية والأدبـــية وبرزت مجامع ونوادي أدبية ودراسية على حيز الوجود ومثل فيها الأدباء والكـــتاب مـــن الـــرجال والنساء وتطورت مذاهب أدبية مختلفة وقد ظهر من تلك

المذاهـــب منصب التحرر والتجديد في العقد الثالث من القرن العشرين ثم جاء دور الشـــعر الحر الذي تأثر به الأدباء والشعراء المتنورون من العرب أولا مثل بدر شاكر السياب والبياتي والشاعرة الفاضلة الثاقبة نازك الملائكة من العراق. فإن الشاعرة نازك الملائكـــة قـــد ساهمت مساهمة غزيرة في الأدب العربي عامة وفي الشعر العربي خاصة ولعبت دوراً هاما في نشر الشعر الحر وتعميمه. ولهذا السبب تعتبر نازك شاعرة كبيرة ورائـــدة طليعـــية في تكنيك الشعر الحر ودراسته ونقده، فيتصف شعرها بالحساسية الـــزائدة وبـــالألم الحاد. وإنها تصورت في فجر عمرها عن غد موعود فلما أدركت راءت الحـــياة على العكس، راءت فيها الصرامة والقيود. فقالت في قصيدة "جامعة الظلال" من ديوانها "شظايا ورماد"

أخيراً لمست الحياة

وادركت ما هي أي فراغ ثقيل

أخير تبينت سرا الفقاقيع و أخيبتاه

وادركت اني وضعت زمانا طويل

الم الظلال ولا شيء غير الظلال

ومرت علي الليال

وها أنا ادرك اني لمست الحياة

وإن كنت أصرخ وأخيبتاه!

وإن نازك الملائكة بدأت نظم الشعر بالشكل التقليدي الكلاسيكي ثم تحولت عنه عن وعي وتعقل إلى الشعر الحر، وهي توضح الشعر الحر بقصيدتها "الكوليرا" التي لها أهمية بالغة في الشعر الحر.

كانـــت شاعرتنا نازك الملائكة شاعرة بالمعنى الحقيقي للكلمة فتشعر بكل ما كان يجرى في بيئتها من الآلام والأحزان والنكبات الإجتماعية فنازك تحب الليل لأنه يطـــوى جميع الأحزان والآلام في قلبه. والليل تعتبره نازك الملائكة معزيها في وحدتها وكآبتها في همومها وأحزانها. فتقول:

كنت وحدي لم يكن يتبع خطوي غير ظلي

أنا وحدي انـــا والليـــل الشـــتائ وظـــلي

وقـــد وزعـــت هذا البحث على ثلاثة أبواب رئيسية وفي كل باب فصول. فألـــباب الأول يحـــتوى على ثلاثة فصول فالأول قد ذكرت فيه الأوضاع السياسية والإجتماعية قبل وبعد مولد نازك الملائكة بالإيجاز. والثاني تحدثت فيه عن أسرة نازك الملائكة. والثالث ناقشت فيه حول نشأة نازك وحياتها العلمية والثقافية.

وأما الباب الثاني فهو يتناول الشعر الحر، وينقسم إلى الفصلين. أولهما يتحدث عن الشعر الحر بإعتباره الحركة ومع الإهتمام بذكر خلفية الشعر الحر وكذلك بذكر أســـبابه وآراء المؤديـــن والمعارضين. وثانيهما يركز على الإهتمام بذكر الشعر الحر باعتـــباره العروضـــي مع الإلقاء نظرة عامة على تعريفه وبحوره وتشكيلاته وظواهر قضاياه ومستقبله.

وأمـــا مـــا يتعلق عن الباب الثالث فيشتمل على الفصلين، فالفصل الأول قد ذكرت فيه إسهامات نازك الملائكة في الشعر الحر والفصل الثاني قد بينت فيه مختارات مهمة من قصائد نازك الملائكة التي تدل على ملكتها الفنية والأدبية والعلمية.

وهذه هي الحقيقة أن البحث والتحقيق عمل شاق ويتطلب التكريس والمواظبة والتصـــبر. فالمشـــاكل والصعوبات التي واجهتها أثناء إعداد هذا البحث خاصة عدم

توافر المواد في المكتبات والجامعات. ولكن قد بذلت جهدي في تقديم هذه الأطروحة حسب ما استطعت. وفوق كل ذي علم عليم.

وأخـــيرا من الواجب أن أتقدم بالشكر والإمتنان إلى أستاذي ومشرفي المحترم والشـــفوق البروفيســـور فيضـــان الله الفاروقي آدام الله لـــه الصحة والعافية. الذي إســـترعى إنتـــباهي إلى إختيار هذا الموضوع. وتكرمني بتوجيهاته القيمة وإرشاداته الســـديدة في إتمـــام هـــذه الأطروحة، ومستوفيا بحق الدراسة. وأرشدني إلى الحسن والسداد أينما كان، وانقذني من مواطن الضعف والخطأ في مسرى دراستي هذه.

أنا متشكر باعماق قلبي لأخي الكبير محمد شاهد الذي قدم مساعداته العلمية ومشـــوراته المفـــيدة في مســـار البحث والتحقيق ولجميع الأصدقاء والزملاء الذين ساعدوني بأي نوع من أنواع المساعدة خصوصا الأخ محمد عفان وشفيق عالم الذين قدما كل المساعدة في تبيض المسودات وتقويمها.

وأشـــكر جميع الأساتذة من اعماق قلبي وقراراة نفسي، الذين ساعدوني على اعداد هذه الرسالة من شتى النواحي وأدعو الله لهم أن يمتعهم بدوام الصحة والعافية. ويتـــيح لنا ولجميع الطلاب- فرصة للإستفادة من علمهم ونصحهم. إنه سميع مجيب الدعوات وهادٍ إلى الصراط المستقيم.

صبغـــة الله

مركز الدراسات العربية والأفريقية

جامعة جواهر لال نهرو

الباب الأول

صور من حياة نازك الملائكة

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والإجتماعية قبل وبعد مولد نازك الملائكة بالإيجاز

الفصل الثاني

أسرة نازك الملائكة

الفصل الثالث

نشأة نازك الملائكة وحياتها العلمية

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والإجتماعية قبل وبعد مولد نازك الملائكة بالإيجاز:

قبل أن أخوض في الموضوع أود أن أسلط الأضواء بالإيجاز على الأوضاع السياسية والإجتماعية التي كانت تسود العراق قبل وبعد مولد الشاعرة نازك الملائكة.

بعد إنتهاء السلطة العثمانية الغاشمة: كان العراق يحكم عليه الإحتلال البريطاني وكان العراقيون يعيشون حياة ضيق وضنك تحت سيطرة الإنكليز وكانوا يذوقون مرارة الإستعباد، ولكن جاء في حياتهم الوعي والإدراك وقاموا بثورة ضد الإحتلال البريطاني ولكنها فشلت ثم إستأنف العراقيون النضال السياسي من جديد وحاولوا للحصول على الإستقلال والحرية بالمفاوضات التي كانت تدور بينهم وبين الإنكليز لأن استبداد الإحتلال البريطاني المرهق عكر صفو السياسية العراقية وقد استمر النضال العراقي حتى تنازل الإحتلال البريطاني إلى الإنتداب البريطاني ولكن العراقيين لم يرضوا بالإنتداب كما كان الإنتداب والإستعمار عند العراقيين على حد سواء لأنهم قارنوا بين حكم الأتراك وحكم الإنكليز فزادت كراهيتهم للحكم البريطاني وهكذا جرى الأمر حتى اقيمت الوزارة في العراق وأصبح للعراقيين حكومة مؤقتة بعد إبرام المعاهدة بينهم وبين الإنكليز وكان ذاك الإستقلال مزيفاً وزاد الطين بلة والألم

في نفوس العراقيين. عندما تم مد أجل المعاهدة إلى خمس وعشرين سنة بعد أن كانت أربع سنوات. وهذه هي الأوضاع السياسية كانت تسود آنذاك.

وعـــندما ألقى نظرة عابرة على الأوضاع الإجتماعية أجد أن المجتمع العراقي كـــان ينقســـم إلى ثلاثـــة أقسام رئيسية: العشائر البدوية وسكان الريف (عن فيهم العشائر شبه البدوية) وسكان المدن.

كـــان البدو العرب يسكنون الصحراء في القسم الغربي والجنوبي من العراق. وكانت العشائر الرئيسية هي: شمر في الشمال والجزيرة وعنترة في الشامية والد ليم في جـــنوبي غربي العراق. وكان البدو يعمدون إقتصاديا على الجمال والغزو و لم يكونوا عنصـــراً ذا انتاجـــية عالية في المجتمع العراقي بل كانوا يشكلون عقية كأداء أمام نمو التجارة البرية وخطراً على الأمن وتحدياً لأية حكومة مركزية.

أمـــا بالنســـبة لسكان الريف، فلقد كانت تشكيلاتهم الإجتماعية تختلف تبعاً لأنظمة الري والزراعة. ففي الشمال في المناطق التي تروي بمياه الأمطار كانت الوحدة الإجتماعـــية هـــي القرية أما في الجنوب حيث المنطقة المأهولة بالعرب المروية بالنهر فكانت الوحدة الاجتماعية هي العشيرة.[1]

كـــان يـــرأس كل عشيرة عضو بارز ومعترف به من البيت الحاكم. وكان يســـاعد الشيخ عادة مجلس عشائري لحل المشاكل التي تواجه العشيرة كهيئة جماعية ومجلـــس قضائي لحل المشاكل ما بين أفراد العشيرة وفقاً للقانون غير المكتوب ولكنه متعارف عليه وفقاً للعادات والتقاليد العشائرية.

ان النظام العشائري المستند إلى هيكل إقتصادي عميق الجذور والذي حافظت علـــيه الظروف الموضوعية السائدة قد ولّد قيماً وعلائق إجتماعية معينة بين أعضائه

---

١ هاشم جواد، مقدمة في تاريخ العراق الإجتماعي، ص٤٤

الذيـــن كانـــت تشدهم بعضهم ببعضهم روابط الدم والتعصب والشريعة والقوانين والأخـــلاق العشائرية المتعارف عليها. إن هذا النظام أعاق نمو الوعي القومي ووقف حـــائلاً أمـــام نمو سوق عراقية موحدة. كما كان تحدياً دائما لأية سلطة مركزية في العراق.

وكـــان ثمة إنقسام آخر في المجتمع العراقي وهو التمايز الحاد بين سكان المدن والأعـــراب. وكـــان الأتـــراك يحرضون القبائل ضد بعضهم بعضاً ويثيرون الحسد والمنافسات داخل القبيلة الواحدة عن طريق إبدال الشيخ المعترف به بآخر. ويحاولون خلق هوة بين الشيخ وعشيرته.

إن هـــذه السياســـة قصيرة النظر لم تجلب للعراق سوى الخراب. فلقد تحول العـــراق إلى مـــيدان للحروب ما بين العشائر المتصارعة على الأرض أو الماء. ومزقته الصـــدامات بـــين العشائر والحكومة مما ألحق بالبلاد ضرراً بالغاً أنهك قوى البلاد و النتائج كانت سطحية وتافهة.

ولهذا السبب أصبح العراق بلدا متأخرا هيمن عليه الجهل وفقد الأمن والنظام، مخـــرب الجوانـــب والجنـــبات. وقد حاق به الخراب والظلم والخوف والإضطراب. وكانـــت ضـــواحي بغداد تسلب وتنهب وتسرق كما حاق بالحياة العامة من تأخر وتخلف حيث انتشرت الرشوة بين المؤظفين والرشوة سبب من أسباب ضعف الدولة فـــالمؤظف المرتشـــي يكون ضعيفا خائفا لا يقدر على تطبيق النظام مما يساعد على انتشار الفوضى حتى إن الناس لم يكونوا بقادرين على ترك بيوتهم في المدن. دون أن يحملـــوا معهـــم مـــا يقيهم من أذى اللصوص، وسطوة الناهبين والسالبين. بل تجرأ اللصوص على السلب والسرقة علانية و لم يكن يمضى يوم دون سرقة أوجرح أو قتل أو ســـلب. لذلك إنكمش الناس في قراهم تاركين العناية بالزراعة والإهتمام بالتجارة

فظهـــر نقصان الغلال في بلد هو من أخصب بلاد العالم وأغناها فعمه الغلاء والقحط وتردت حياته الإقتصادية.[٢]

استمرت جميع مشكلات العراق التي كان يعاني منها في القرن التاسع عشر إلى القـــرن العشرين ومن هذه المشكلات الأساسية قضية سكان العراق فقد كان أغلبهم مـــن العشـــائر الذيـــن لهم نظامهم الخاص بهم. وكثيرا ما كانت هذه العشائر تتمتع بإستقلال ضمن دائرة العشيرة، إذ لم تتمكن الحكومة من السيطرة عليها سيطرة فعلية وكثيراً ما تثور العشائر على الحكومة فتنشر الزعر والرعب في النفوس مغتنمة ضعف الحكومـــة في فـــرض إتاوات وضرائب على بعض المدن، فلا عجب أن كان رجال العشـــيرة مصدر قلق عام للحكومة وللبلاد، وبالإضافة إلى ذلك انهم كانوا مسلحين بأسلحة هي أجود وأحسن من أسلحة الجيش الذي كان يذهب لقمع حركاتهم.

ولقـــد كانت المراة بعيدة عن المجتمع العراقي، فقد احتجزت في البيوت إذ لم يكـــن يســـمح لها بالإختلاط مع الرحال، فقد كان الوالد يريد أن يتخلص من ابنته مفضـــلاً عليها الولد مهما كانت درجة فضلها وخلقها، فقد كانت محرومة من تعلم القـــراءة والكـــتابة كيلا توصلها إلى أغراض فاسدة. وقد كان لفوضى المجتمع ومثله العليا لم يعد يردعه الوازع الديني أو الخلقي عن ارتكاب الجرائم، فالقبائل كانت تش الغارات على المدن. وموظفو الحكومة العثمانية نفسها كانوا يسبون النساء ويأخذون السبايا إلى الآستانة، لذلك حرص القوم على إخفاء بناتهم خوفا من العار والسبي.

أن مشـــكلات العـــراق الإجتماعية لا تختلف عن مشكلات البلدان المتأخرة الأخرى فهي الفقر، والمرض، والجهل، ومشكلة الإقطاع والفلاح، والمرأة، ولا تزال هذه المشكلات قائمة حتى الآن، برغم ما بذل من جهود في إصلاح بعضها، ولكنها

---

٢ الدكتور يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والإجتماعية فيه، ص٩-١٠

لم تصـــل إلى مـــا يهدف إليه العالم الإجتماعي. ولما جاء دستور ١٩٠٨، فارتفعت أصـــوات الـــناس عالية تطالب بالإصلاح، وتجرأت بعض الجرائد على السخرية من المرتشـــين والمستغلين. وأخذت بعض الجرائد تنشر بعض الرسائل المفتوحة تشكو ما حل بالبلاد من تأخر شمل جميع نواحيها.[٣]

وإذا ألقـــي النظر على وضع التعليم فلا أجد للتعليم ظلاً إلا في المساجد، في المـــدن الكـــبرى وبحدود ضيقة، ولو لا عناية رجال الدين في مساجد بغداد والبصرة والموصـــل والنجف الأشرف لقضى على اللغة العربية. كما أن الحكومة كانت تبذل المبالغ الوفيرة للجند وللأمن العام مهملة شئون التعليم وكأنه شيء غير ضروري. أو يمكن الإستغناء عنه ومن الطريف أن الحكومة كانت تدفع للبواب ٥٠٠ قرش وتدفع للمعلم ٢٠٠ قرش.[٤]

وهـــذه الأوضـــاع القلقة الأليمة دفعت الشعراء في أوائل القرن العشرين إلى المطالبة بالتحرر والإصلاح متاثرين بالحركات التحررية التي عمت العالم. وفي غضون هـــذه الفـــترة العصـــيبة ولدت الشاعرة الفائقة ذات البصيرة والناقدة والفطنة نازك الملائكـــة. ثم تثقفـــت بـــثقافة علمية وتحلت منـــزعة وطنية وقريحة قومية وساهمت باشعارها المتحررة في إستقلال البلاد وإصلاح الشئون الإجتماعية والسياسية وقامت بنشر الوعي والإدراك في المجتمع العراقي.

---

٣ جريدة الرقيب العدد ١١٤

٤ الدكتور يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، ص١٣

الفصل الثاني

أسرة نازك الملائكة:

قد كتبت الدكتورة حياة شرارة في مقالتها: "صفحات من حياة نازك الملائكة دار الأجداد"[٥]

ولـــدت نازك الملائكة في بيت أجدادها وعاشت فيه حتى بلغت السابعة من عمـــرها، وظلت تتردد عليه حتى عام ١٩٣٨ عندما استملكته الدولة ثم قامت بهدمه كـــان ذلك البيت مهد الطفولة ومرتع الصبا وترك في نفسها بصمات ثابتة لا تمحي وقـــد أشـــارت إليه عام ١٩٥٧ تقول: "أذكر أننا كنا نعيش في منـــزل شاهق عتيق يقوم في ناحية من بغداد في طفولتنا فقد كان القدم يخلق حول البيت جوا من الرهبة الغامضة والعظمة الصامتة التي تركت في حياتنا حتى اليوم آثاراً شديدة العمق.[٦]

وكـــان البيت واقعا في قلب بغداد في "العاقولية" قرب شارع الرشيد حاملا الـــرقم ١٠٢/١٦ــ وبعد هدمه صار قسم منه جزأ من شارع الأمين الذي يربط بين شـــارعي الرشيد وغازي، وتقوم اليوم على بقاياه عمارة سعد الدين علي التي تطالعنا واجهـــتها بالـــرقع البيضـــاء الحافلة بأســـاء الأطباء والمحامين الذين يعملون غرفها وشققها،

وكان البيت يسمى "بالكبير" لاتساعه وعرضه بالمقارنة مع البيوت الأخرى في تلـــك الأيام. وما زالت تبقى ذكريات الطفولة العذبة الساذجة لنازك وأقرانها في هذا البيـــت، تضم باحة الدار حديقة صغيرة فيها أربع شجرات نارنج وفي الثانية شجرة

---

٥ قد نشرت هذه المقالة في جريدة الجمهورية، العراق ١٩٩١م

٦ الدكتور جميل الملائكة: رباعيات الخيام (مقدمة نازك الملائكة للرباعيات(بغداد ١٩٥٧م.

توت وفي الثالثة دالية عنب تمتد فوق قمرية تغطي جانبا من الباحة.[٧]

أن الغـــرفة الـــتي ولدت فيها نازك وعاشت فيها طفولتها المبكرة نموذج لفن الرســـم والنقش الذي تنطوي عليه بعض غرف الدار الأخرى أو تزيد. عاشت نازك الملائكة في هذا البيت حتى عام ١٩٣٨م عندما استملكته الدولة ثم انتقلت أسرتها إلى المكان الآخر.[٨]

ثم انتقلت أسرتها إلى الكرادة وبنت بيتا مستقلا لها في شارع أبي قلام. كانت الكرادة الشرقية في تلك الأيام أشبه بالريف منها بالمدينة. وتذكرها نازك قائلة:

"وكـــان منـــزلـــنا هـــذا يقع مباشرة في شارع بين بستانين كثيفين مليئين بالأشـــجار الباسقة من نخيل وتوت وبرتقال ونارنج ومشمش وإجاص وتين وسوى ذلك. وكان شارعنا نفسه بستانا وعندما سكناه لم يكن فيه سوى ثلاثة بيوت أحدها بيتنا والثاني بيت عمي والثالث بيت جار لنا رسام تربطنا بأسرته علاقة وثيقة. وكان في شارعنا نهر ولكنه كان جافا لا ماء فيه، وعلى مسافة صغيرة من بيتنا يمتد نهر دجلة العظيم الذي أثر تأثيراً عميقا في شعري وحياتي.[٩]

وتقـــول نازك الملائكة حول بيتها، إنما تمتد أمام البيت بقعة أرض صغيرة فيها تـــلال مـــن الرمال الرطبة فكنت أقضي الوقت جالسة على التل ألعب بالرمال وأبني بـــيوتا ومدنـــا وأحلم، وقد وضعت تل الرمال هذا في شعري في "عاشقة الليل" وفي مأســـاة الحـــياة وأغنية للإنسان وهكذا تقول نازك أن ذلك البيت المحاط بالبساتين والإدغال وكنت ألعب مع اخوتي وأطفال الجيران بين الأشجار طيلة النهار، وندخل البســـاتين الكثـــيفة لـــنقطف أزهار البرتقال. ولكن لما عرفتا أن أصحاب البساتين

---

٧ فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص١٧

٨ دربونة البيت: الزقاق أو السكة أو الدرب الصغير المؤدي إلى البيت.

٩ نازك الملائكة: لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ص١٤-١٥

يكـــرهون أن نقطـــف أي شيء من البساتين فلم نفعل ذلك ونقف من هذه الحركة السيئة.[١٠]

تقول نازك:

"وقـــد ابـــتنى أبي بيتا صغيرا فيه أربع غرف، الكبرى منها كنا ننام فيها نحن الأطفال الخمسة مع عمة أبوي "فاطمة" التي ربتنا جميعا. (فيما بعد ولدت لنا أختان فصـــرنا ســـبعة). والغـــرفة الثانية الأصغر كان ينام فيها أبواي والثالثة غرفة صغيرة لاســـتقبال الضيوف. أما الرابعة فلم تكن غرفة في الواقع لأنها كانت واطئة الأرضية بحيث تبرد بردا شديدا في الشتاء وكذا نستعملها خلال الصيف اتقاء لحر الظهيرة."[١١]

تنـــتمي شـــجرة نازك العائلية إلى النعمان بن المنذر بن ماء السماء من ملوك المناذرة اللخميين في الحيرة. فهو الجد الأقدم لأسرة الملائكة.

وبعـــد ذلك نحن نريد أن نذكر تلك العبارات المهمة التي ذكرت "الدكتورة حياة شرارة" في مقالتها حول آل جلبي:

"عرف آل جلبي في العاقولية بتقواهم وحسن عاداتهم. كان الآباء لا يسمحون لأولادهم الصغار أن يلعبوا في الشارع أو أن يصدر عنهم تصرف سيئ أو تطاول أو كلام منكر أو كذب أو العادات الخبيثة.

إن الأولاد الذين ينتمون إلى هذا البيت لا يخرجون من بيتهم إلا للذهاب إلى المدرسة أو لزيارة الأقرباء بصحبة ذويهم. حدث ذات مرة أن ذهب صادق الملائكة (والـــد نازك) إلى دعوة عرس بد لا من أبيه باعتباره الابن الأكبر لـــه. وتأخر حتى الســـاعة الثامنة مساء تقريبا وعندما رجع إلى البيت لم يأذن لـــه أبوه (جعفر الجلبي)

---

١٠ د. حياة شرارة حياة نازك الملائكة ص٦١

١١ نازك الملائكة، لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، ص١٤

بالدخول لأنه جاء بعده وكان عليه أن يتواجد قبله، وتوسط له أعمامه ليسامحه، وفي الصباح كان خجلا وجلا من رؤية والده. وكانت التربية المتشددة تسري على جميع أفراد البيت رجالا ونساء وعليهم أن لا يحيدوا عنها. زد على ذلك أن الروح الدينية كانـــت قوية التغلغل في نفوس أبنائه مما كان لـــه أثره في تصرفاتهم ومعاملتهم للناس بالحسنى والتقوى."

ولم تكـــن أسرة الجلبي عريقة النسب والجاه فحسب وإنما كان يرجع الفضل إليها في العلم والأدب أيضا، فكان لديهم مكتبة فخمة تحتوى على العلوم الدينية من التفســـير والحديـــث والفقه وما إلى ذلك شرحا ونصاً والشعر العربي والمخطوطات النادرة، ولكن الحرب العالمة الأولى إجتاحت بأقدار العائلة وذهبت بهذه المكتبة الثمينة لا شك إن إسراف "جد نازك الملائكة" الحاج جعفر الجلبي كان العامل المباشر الذي رعـــي الأسرة في حام كانت تعاني بالإفلاس حتى اضطر إلى المهاجرة والتوطن خارج العـــراق ببضع سنين حتى عادت الظروف القاسية إلى الرفاهة. ولم يدر اخوته كيف يخـــرجون مـــن هذه الأزمة المالية التي أحاطت بهم. حتى قام عبد الهادي الجلبي ببيع نفـــائس هذه المكتبة بمائتي ليرة ذهبية. وهكذا انتشرت كتبها في أما كن متفرقة وقد وصل بعض منها إلى مكتبة متحف الفاتيكان وعليه إسم العائلة فأحست العائلة بالألم على هذه الخسارة الجسيمة التي لا تضارعها الخسارة المالية رغم فداحتها. وانتقل هذا الشعور بالمرارة إلى أبناء الأسرة الذين ما زالوا يتحدثون عن ضياع هذا الكنـــز القيم بين الأصدقاء والأقارب.

أمـــا جد أم نازك "محمد حسن كبة" الإبن الأكبر لبوصفة (١٨٥٢-١٩١٧م) فإنـــه كـــان شاعرا وعالما دينيا كبيرا، ورث مهنة التجارة. ولكنه لم يكن فـــارس هذا الميدان فوجّه الشئون التجارية كلها إلى أخيه وعكف على دراسة الفقه

والأدب والشـــعر، وســـافر إلى ســـامراء ودرس العلوم الدينية على علماءها الكبار كالشـــيرازي. ولما ذهب محمد حسن كبه إلى زيارة بيت الله، نظم ألف بيت يصف فـــيها عن رحلته وعما التي كانت تستغرق آنذاك فترة ستة أشهر إذ كانوا يسافرون بالجمال الذي كان يسبّب إطالة السفر والصعوبات الأخرى فيما يتعلق بالسفر عندئذ بالإضـــافة إلى طـــول الغياب عن الوطن. ولـــه فضائل شتى وراء هذه الكلمات لا يتحملها هذا الوجيز.

وان السيدة هداية (جدة نازك) كانت تحب الشعر وتقرضه وهي إمراءة مليحة طويـــل القامة ونحيفة الجسة ذات عينين سوداوين وانف دقيق وطويل لحد ما بيضاء البشـــرة تلقت تعليما في بين والدها القراءة والكتابة. وكانت لها صلة قوية ويكرمها أفـــراد أســـرتها تكـــريما بالغا. وهي هادئة الطبع، وحاولت أن تنشئ أولادها على خصـــالها، فتوصيهم أن يفكروا ثلاث مرات في العبارة التي سيتكلمونها قبل أن تجرى عـــلى ألســـنتهم كي لا يندموا على ما قالوه. وغرست الجدة هداية (والدة أم نازك) بذرة حب الشعر في مشاعر أولاد الأسرة. وكانت الجدة هداية تحفظ كثيرا من الشعر والحكايـــات المحلـــية عن إبنة السلاطين والملوك والجن وكانت تقصها على أولادها أحفادها وأيضا تقرأً عليهم.[١٢]

والسيد جميل الملائكة خال نازك ولد ببغداد سنة ١٩٢١م وتخرج في مدارسها الإبتدائـــية والثانوية وأكمل تحصيله في الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٤٣م ونال درجـــة الماجستير من جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٤٦م ودرجة الدكتورة من "جامعة ايوا" سنة ١٩٦٥م. وهكذا السيد عبد الصاحب خال نازك أيضا ولد سنة ١٩٢٣م، أكمـــل تحصـــيله في جامعة بغداد (كلية الحقوق) وعمل في المحاماة، لـــه ديوان شعر

---

١٢ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٢٥-٢٦

مطبوع بعنوان (إرادة الحياة) صدر عام ١٩٦٣م.[١٣]

فالآن انا أريد أن ألقى ضوءا على سليمة عبد الرازق والدة السيدة نازك، لا شـــك في أن شخصـــيتها تعرف وتعلم بين أفراد أسرتها بسلمي وتوقع قصائدها بأم نـــــزار، وهـــي ولـــدت ببغداد يوم ٢٩ من شهر فبراير عام ١٩٠٩م وعانت منذ طفولـــتها آلام اليتيم وشبت فتاة حلوة مملؤة القوام مربوعة القامة، وهي كانت ذات شـــعر كســـتنائي اللـــون وعيناها واسعتان وملامحها معتدلة الحجم، بشرتها تميل إلى البياض. كانت رقيقة المشاعر، هادئة الطبع، ومتحمسة لا تؤمن به. وأحست بنكبات الحـــياة وهي ما زالت طفلة لم تستطع سليمة أن تدخل المدرسة لعدم وجود مدارس للفتيات المسلمات في تلك الفترة. غير أنها تلقت تعليمها في كتاب للإناث كان يجاور البيت.[١٤]

ويناســـب هنا أن نذكر أن أباها صادق الملائكة قد تزوج من سليمة في عام ١٩٢١م وهـــو كان أكبر منها بنحو أربعة عشر عاما وتلقي دراسة في الدين وعلوم اللغة العربية على يد السيد محمد الديواني. وهو العالم الديني في زقاق إمام طه. فكان يتمنى أن يعلم لغة أوربية، فمن هذا السبب يغادر البيت خلال فترة نومهم أو غبابهم مـــع عمـــه عيســـى ويذهبان إلى معلم يهودي، حيث يتلقيان على يده مبادئ اللغة الفرنسية.

وكانت النهضة الأدبية والإجتماعية التي تشهدها مصر موضع تفاؤله وفرحته. أما حركة تحرير المرأة التي قادها فكريا "قاسم أمين في مصر والزهاوي في العراق فقد جعلـــته متحمسا لزوجته وانعكست فيما بعد على سلوكه مع زوجته في البيت وفي

---

١٣ د. حياة شرارة، صفحات من حياة نازك الملائكة، ص: ٢٢

١٤أم نـــزار الملائكـــة، ديـــوان أنشوده المجد، المقدمة بقلم نازك الملائكة، ص: ٧، إستفادة من صفحات نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٢٧

تربية أبناءه وبناته ومعاملته لهم بتفهم وحثهم على الدراسة والسير في طريق المعرفة.[١٥]

وتقول نازك الملائكة إن أباها جمع أفراد عائلته ونظم نشيداً عن أولاده:

نـــازك بـــنتي نافعة لأمهـــا مطاوعـــة
ومثـــلها احســـان جمالهـــا فـــتان
وهكـــذا ســـعاد يحـــــبها الأولاد
وحـــبذا نـــزار يحمـــده الأبـــرار
وشـــبهه عصـــام مـــبجل همـــام
أمـــا لبـــيني الحلوة فهـــي لنفسي سلوة
في سها الجمال قدتم والكمال[١٦]

وأن إحســـان هي تتمنى بأن تكون مثل أختها الكبرى. ولذلك أنكبت على المطالعـــة وصارت تقرأ كل ما تشير به نازك عليها من كتب، وتحاول قرض الشعر. وقـــد نشرت أول قصيدة لها في جريدة (الحوادث) البغدادية في شباط عام ١٩٤٥م. وإن إحســـان أقرب أخواتها إلى نفسها منذ الطفولة ورفيقتها في رب الأدب والفن. ولكـــن تخـــتلف "ســـعاد" عـــن أختيها لعدم إقبالها على المطالعة وكانت ضعيفة في دراستها. انما تدبر المنـــزل، ولذلك صارت تساعد أمها في أمور البيت عندما كبرت.

وبالخصـــوص نازك تحب كثيرا أختها الصغرى سها التي ولدت عام ١٩٣٥م وكانت طفلة جميلة وقد دللتها نازك فقد جاء في إحدى مذكراتها في يوم الإثنين ٣٠ حزيران يونيو ١٩٤١م مما يلي:

"إني اعلم جيدا، إن هذه الطفلة الصغيرة المحبوبة، ستكون في مستقبلها الباسم

---

١٥ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية.

١٦ د. حياة شرارة، صفحات من حياة نازك الملائكة، ص: ٢٣

إن شاء الله درة لامة في سماء الشعر وكوكبا مؤلقا في الدنيا الموسيقى وعالما كاملا من النبل والوداعة وسمو الخلق، هذه الطفلة التي سيأتي اليوم الذي يتمنى فيه الناس أن يفهموها ويدرسوا مدى أثرها في نفسية الشاعرة الموسيقية."[١٧]

وكان نزار يميل إلى تعلم اللغات منذ صغره، وعندما أخذ يشتري القواميس والكتب فتحسن مستواه الدراسي بواسطتها. أما عصام فكان يميل إلى العناية بأمور البيت ويدرس بصورة اعتيادية.

حاولت نازك بوصفها الأخت الكبرى أن تحمل أخوتها على التحدث باللغة العربية الفصحى فيما بينهن وشجعها أبوها على ذلك وساعدتها أختها إحسان أيضا وفرضت عقوبة على من يخالف ذلك. فعلقت صندوقا على الحائط لرمي النقود. تتحدث نازك في المذكرات التي كتبتها لأختها سها في ١٦ ديسمبر ١٩٤٢ والتي تذكر جزءا منها فيما يلي:

"بدأنا منذ أكثر من سنة ونصف بالتكلم بالفصحى في البيت، فبدأت سها ذلك معنا".

وتعطي في مكان آخر نماذج لأحاديثهم باللغة العربية:

"سها: إحسان أعطني القلم أعطني إياه

أحسان: ماذا؟ كيف تقولين لي أعطني؟

سها: ها عفوا أعطيني القلم

نازك: وكيف تقولين لنزار إذا ردت منه فلوس

سها: (بضجر) إي أقول لنزار أعطني فلسا

وأقول لإحسان: أعطيني عشرة فلوس."

---

١٧ يوميات نازك عن أختهاسها، ١٩٤٠-١٩٤٥م،

وضحكنا ضحكا شديدا من سها وهي تنطق الجملة الأخيرة لما فيها من طرافة تدل على ذكاءها."[١٨]

وصـــارت نازك الملائكة وأخواها جميل وأنور ومنير وأختها إحسان يقومون بهذه المطارات الشعرية يشاركهم فيها الكبار أحيانا كجدها جعفر الجلبي الذي كان يشجع أحفاده وحفيداته وأولاد أخيه ويحثم على المضي في تلاوة الأبيات.[١٩]

بدأت نازك تنظم الشعر في المناسبات وتقوم أحيانا بتلحينه وغنائه. فقد ولدت مـــرة جارتها طفلة فما كان منها إلا أن نظمت قصيدة بميلادها ولحنتها وظلت هذه العـــادة ملازمـــة لها في سنواتها التالية. وكانت تشارك في وضع الأناشيد والأغاني في المناســـبات التي تقام في البيت الكبير في العاقولية. ففي إحدى احتفالات عيد الملائكة الـــذي يقيمونه في ١٦ تموز إحتشد عدد كبير من الأهل والأقارب والأصدقاء كبارا وصغارا. وإبتدأ الحفل بنشيد من نظم جميل ونازك وتلحينهما يرحبان بالضيوف:

مرحـــبا بالقـــادمين　　بالضـــيوف الماجدين
مـــذ أتيـــتم حلفـــنا　　كمـــل الأنـــس لنا
مرحـــبا بالشـــرفاء　　بالكـــرام النجـــباء
فـــيكم مـــنا دنـــا　　كـــل ســـعد وهـــنا
فـــيكم تم الهـــنا　　فـــيكم لـــنا المـــني
فيكـــم صـــار الفني　　أرحـــبا أهيـــبا
مرحبا　　مرحبا[٢٠]

وكانـــت أســـرة الملائكة تقوم بسفرات إلى الأقارب القاطنين خارج بغداد

---

١٨ المصدر السابق، ص: ٦٧-٦٨.

١٩ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية ص: ٣٢

٢٠ المصدر السابق، ص٣٣

ويصـــاحبهم عـــدد من سكنة البيت القديم في العاقولية في الحفلة التي اقامتها خالتهم نظمية حضر معروف الرصافي من بين الذين حضروا هذه الدعوة. وبعد ذلك تتحدث نازك عن والدتها فتقول:

"أمـــا والـــدتي فقد كان لها أثر واضح في حياتي الشعرية، لأنني كنت أعرض علـــيها قصـــائدي الأولى فتوجه إليها النقد وتحاول إرشادي، ولكني كنت أنا قشها مناقشـــة عنيدة فقد لاح علي منذ مرحلة الثانوية التأثر بالشعر الحديث، شعر محمود حســـن إسماعـــيل وبدوي الجيل وأمجد الطرابلسي وعمر أبو ريشة وبشارة الخوري وأمـــثالهم، بينما كانت هي تعجب بشعراء أقدم كالزهاوي على الخصوص فقد كان شـــاعرها الأثير. وقد بدأت امي تتجه نحو الشعر الحديث إلى درجة ملحوظة وكانت تعجـــب على الخصوص بشعر إبراهيم ناجي وصالح جودت. ولكن اتجاهاتي الشعرية بقيـــت مختلفة عن اتجاهاتها بسبب معرفتي للإنكليزية والفرنسية وكثرة قراءتي لشعراء هما. فكانت تقرأ لي قصائدها وأقرا لها قصائدي حتى وفاتها عام ١٩٥٣م.

وبعد وفاة أمها كتبت نازك إلى والدها رسالة تعزية تخبره بوفاة والدتها. وتقول فـــيها: "ارجو أن تكون واثقا يا أبي الحبيب من بضعة أشياء" اولها أن امي قد لقيت أعظـــم عـــناية من المستشفي مني ومن منير، وقد كانت أيامها الأخيرة أعذب الأيام فماتـــت مبتســـمة،، هادئة، ومرتاحة إلى حبنا وإعزازنا وهي تشملنا كلنا برضاها. وثانـــيها أنهـــا كانـــت "ميـــتة" تقريبا قبل أن تسافر بها إلى لندن، وقد رأيت بعيني "السرطان" الرهيب الذي قطعوه من رأسها، بشهادة الأطباء أكبر سرطان مروا به في حـــياتهم الطبـــية، وقد أجمعوا على أن موتها كان منتظر في أي لحظة — حتى دون عملية. وليد ذلك تقول نازك "أنا التي رأيتها وهي تنازع " يا الهي يجب أن تساعدوني يا أبي على النسيان"

في يـــوم الثلاثاء ٣٠ حزيران أن دفنت أم نازك في الجامع الإسلامي في لندن وبمـــا أنه لم يكن هناك صديق أو قريب لها في لندن إضطرت نازك أن ترتب المراسم الجـــنائزية لوالدتها وحيدة بدون مساعدة من أي جهة. ومما زاد من حزن العائلة على فقدهم لوالدتهم أنها دفنت في أرض غير أرضها بعيدة عن أحبائهم.[٢١]

Jawaharlal Nehru University Library

TH-12455

٢١ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية.ص٣٤، ٣٩-٤٠

الفصل الثالث

نشأة نازك الملائكة وحياتها العلمية:

لاشـــك في أن نـــازك الملائكة هي الرائدة الحقيقية لنوع من الشعر الحديث أطلقـــت علـــيه "الشعر الحر" وكان أبواها ايضا شاعرين معروفين وكان حدها هو صاحب العلم والأدب.[٢٢]

وفي هـــذه البيئة الشعرية الأدبية ولدت الشاعرة العراقية العظيمة السيدة نازك صـــادق جعفر الملائكة في ٢٣ من أغسطس عام ١٩٢٣م في محلة "العاقولية" إحدى مـــناطق بغداد القديمة في أسرة من أسر بغداد الكبيرة وكانت وما زالت هذه الأسرة معـــروفة في بغداد بالكرم والجود والأخلاق الفاضلة. فنشأت وترعرعت فيها نازك وبرزت ككوكب لا مع وبلبل غريد في الشعر النسوي العراقي في العصر الحديث.

واخـــتار أبوهـــا إســـم "نازك" لابنته. وإسم نازك كان منتشرا بالعراق في العشـــرينات والثلاثينات وهو يعني اللطف ورقة الحاشية وطيب الخلق، وكلمة نازك فارسية قريبة من النـــزاكة، والتأدب الدماثة في الخلق. فقد روت نازك حكاية اختيار هـــذا الإسم للموسيقار محمد عبد الوهاب عندما التفت به في دمشق عام ١٩٤٧م. وأخـــبرته أن نـــازك هـــو اسم الثائرة السورية نازك العابد التي كان والدها معجبا بشخصيتها.

وأصـــبحت نـــازك لمـــا كبرت فتاة يافعة معتدلة الملامح، عيناها بنيتان غير واسعتين، ذات نظرة وادعة ومتأملة، وأنف معتدل وجبهة عريضة ووجه بيضوي أسمر وشـــعر كستنائ وقامة متوسطة الطول. كانت في واقع الحال رقيقة المشاعر لدرجة

---

٢٢ د. فرحانة صديقي: مساهمة المرأة في الأدب العربي، ص١٥٩

قصـــوى، تخـــدش قلبها الحساس أبسط كلمة لدرجة تبكيها أحيانا. أن أسرة نازك كانـــت تهـــتم بالمـــرأة وتقدرها وترفع منـــزلتها إلى مكانة مهمة عالية من الإحترام والتبجـــيل، ويعترف بذلك العديد من رجال الأسرة حيث وجدت النهضة التعليمية للنساء التي برزت في العراق أواخر الثلاثينات طريقها المفتوح إلى هذه الأسرة وكانت عائلـــة آل الملائكـــة من أولى عائلات العراق التي رحبت بتعليم المرأة ترحيبا حارا. وانتهزت نازك هذه الفرص التي أتاحتها الحياة واستفادت. بما أعطتها الأيام.[٢٣]

إن الشـــاعرة الكـــبيرة نازك الملائكة انتقلت من مدرستها في مركز بغداد إلى مدرســـة الكرادة الإبتدائية للبنات، وكانت المدارس قليلة العدد تلك الأيام ولا سيما مدارس البنات، أشرعت نازك منذ نعومة أظفارها حرصها على تحضير المواد الدراسية بإتقان وجد. وكانت فائقة دائما على قريناتها في الصف رغم الصعوبات التي تواجهها في درس الرياضيات (الحساب). وتقول في معرض حديثها عن المواد الدراسية:

"كنت منذ صغري أحب اللغة العربية والإنكليزية والتاريخ ودروس الموسيقى كمـــا كنت أجد لذة في دراسة العلوم خاصة علم الفلك وقوانين الورشة والكيمياء، وأعد السنين يوما يوما لأصل إلى نهاية مرحلة الثانوية، فأتخصص بدراسة الآداب.[٢٤]

كانـــت معـــلمة اللغـــة العربية ضعيفة بالعربية لدرجة أنها "لا تميز الفاعل من المفعـــول" وقام أبو نازك بتدريسها بنفسه. وظل المرجع الذي تعود إليه إذا استعصت عليها بعض الأمور حتى بعدما كبرت واستوعبت اللغة العربية وتقول الشاعرة في هذا الصدد:

"أمـــا أبي فقـــد بقي أستاذي في النحو حتى أنهيت دراسة الليسانس، وكنت

---

٢٣ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٤٢-٤٣

٢٤ نازك الملائكة: لمحات من سيرة حياتي وثقافتي ص:١

أهـــرع إلـــيه بكل مشكل نحوي يعرض لي وأنا أقرأ إبن هشام والسيوطي والأشموني وسواهم"

وهكـــذا تقول نازك "إني كنت و لم ازل شديدة الولع بالنحو وقد فرش لي أبي طـــريقا ممهـــدا رائعا حين وضع بين يدي المكتبة التي كانت تحتوى على متون النحو وكتـــب الشواهد جميعا. ولذلك كان من الطبيعي تماما أن أكون الطالبة الوحيدة بين طلـــبة قسم اللغة العربية التي اختارت رسالة لمرحلة الليسانس في موضوع نحوي "هو (مدارس النحو). وكان المشرف عليها أستاذي الكبير العلامة الدكتور مصطفى جواد الذي كان لـــه في حياتي الفكرية أعمق الأثر رحمه الله"

أمـــا اللغة الإنجليزية فقد اهتمت بتعلمها منذ المرحلة الثانوية، وصار بوسعها عـــندما أصـــبحت طالبة في الكلية أن تقرأ "سكسبير" و "بايرون" و"شللي" وكيتس بلغـــتهم، ومـــع ذلك بذلت مزيدا من الجهد لإتقان اللغة الإنكليزية، فدخلت دورة لدراسة الشعر الإنكليزي في المعهد الثقافي البريطاني.[٢٥]

لقـــد أكملـــت نازك دراستها الإبتدائية ثم الثانوية تدريجيا وخلال هذه الفترة تعلمـــت الـــنحو من والدها الأستاذ صادق الملائكة، أستاذ اللغة العربية حيث أحس وشـــعر بأن لديها هذا الميل الأدبي ورغبة كاملة في تطويره حتى حصلت على درجة الإمتـــياز منذ المرحلة المتوسطة "بحيث كانت المدرسات في تلك المرحلة يحببنها لغزارة معلوماتها وملائمة ذهنها النحوي وقد بقيت تحب النحو طيلة حياتها، والتأثر في ذلك لأبـــيها بكـــثرة ما وضع بين يديها من اصول الكتب النحوية القديمة. وتخرجت عام ١٩٣٩ مـــن الميلاد. ثم دخلت دار المعلمين العالية ببغداد فرع اللغة العربية وتخرجت فيها بليسانس في اللغة العربية عام ١٩٤٤م بدرجة ممتازة وهي أعلى مرتبة منحت في

---

٢٥ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٤٨

بغـــداد تلـــك الأيـــام. وأثناء دراستها بدار المعلمين العالية شاركت في العديد من الحفلات التي دأبت الكلية على اقامتها بإلقاء القصائد وقد نشرت بعض القصائد منها في الجرائد المختلفة. وفي عام ١٩٤٢ دخلت معهد الفنون الجميلة لدراسة العزف على العود وكانت منذ طفولتها تحب الموسيقى وقد حفظت مئات الأغاني.

وذات يـــوم عرضت نازك قصيدتها الأولى على أبيها. وقد شجعها أبوها على قرض الشعر. ووضع الأناشيد والأغاني، غير أنه دهش هذه المرة من مقدرة ابنته ذات الثلاثة عشر ربيعا والتي ما زالت في الصف الأول المتوسط. فقال لها بالفرح والحيرة: نـــازك لا يمكـــن أن تكوني أنت التي نظمتها! فأجابت نازك: لقد نظمتها أنا نفسي. فهذا الشعر المبكر كشف النقاب عن قابلياتها الشعرية.[٢٦]

وقد بدأت محاولات الشاعرة الكبيرة نازك الأولى إلى جانب الأدباء والشعراء وحديث الكتب في فهم أسرار الوجود في فترة مبكرة من حياتها. وكانت تفكر لما ذا تشـــعر بالكآبـــة؟ أو مـــا هو سر سحر الليل والنجوم والسماء والأشجار والنهار؟ وتتساءل قائلة:

"ولم نـــدر أنـــا وجميل كيف نبدد وحشة المساء فاخترعنا لعبة صبيانية رحنا نلعـــبها، وأحببـــناها حبا متحمسا حتى ملأنا ساحة المنـــزل الواسعة ضحكا وقفزا وصـــراخا، وقد انسلخ الأصيل كله في جذل رائع. فلما كان اليوم التالي رحنا نعيد لعبتنا الجديدة ملتمسين متعة الأمس ولكن اللعبة لأمر ما، لم تمتعنا هذه المرة. حاولناها سدى، حاولناها الضحك، وقسرنا أنفسنا على المرح، وطبقنا الخطوات كلها ولكن دون جدوى، فقد استعصت اللعبة، وكأنها فقدت روحها.

كانت هذه التساؤلات تتراود في ذهنها أحيانا وتتخذ شكلا عميقا كلما تقبل

---

٢٦ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٤٩

على قراءة الكتب الفلسفية. وتقول في هذا الصدد:

"الـــتفكير الفلسفي عادة تملكتني منذ الصبا فقد كنت دائما أحب أن أفلسف كل شيء وأغوص في حيثياته وأسبابه. وسنوات النضج أقبلت على قراءة الفلسفة وفي أيام الشباب أثرت فلسفة شوبنهاور المتشائمة تأثيرا شديدا في نفسي"[٢٧]

وبعد ذلك أن نازك الملائكة كانت حريصة بالإضافة إلى ما تقدم ذكره حرصا شـــديدا على تطوير ثقافتها اللغوية فبدأت دراسة اللغة اللاتينية عام ١٩٤٢م خارج المـــناهج المقـــررة في دار المعـــلمين إذ التمست من عميد الدار أن يؤذن لها بدخول الـــدروس في قسم غير قسم تخصصها بسبب ولعها باللغات وقد تابعت دراسة اللغة اللاتينـــية ســـنوات كثيرة ودرستها أيضا في جامعة برنستون بالولايات المتحدة وقد أعجبـــت بشعر الشاعر اللاتيني "كاتو لوسن" وحفظت مجموعة من قصائده ودرست نصوصـــا للخطيـــب الروماني "شيشرون" وقد بقي حب اللغة اللاتينية في دمها، وما زالت تقتني كتب الشاعر اللاتيني وحاولت أن تقرأها كلما وجدت فراغا.[٢٨]

وفي عـــام ١٩٤٩م تخرجت في معهد الفنون الجميلة "فرع العود"، ولم تتوقف في دراستها الأدبية والفنية إلى هذا الحد إذ درست اللغة اللاتينية في "جامعة برستن" في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك درست اللغة الفرنسية والإنكليزية اللغة الأخيرة وترجمت بعض الأعمال الأدبية عنها.[٢٩]

قد بدأت نازك الملائكة دراسة اللغة الفرنسية مع أخيها الصغير أولا ثم واصلت دراســـتها منفردة دون مساعدة أي أستاذ لعدة سنوات. ثم دخلت المعهد العراقي عام ١٩٥٣م وقـــرأت خـــلال إقامتها هنا لك موباسان ومولير والفونس دوديه وكانت

---

٢٧ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٥٢-٥٣

٢٨ المصدر السابق، ص٥٤

٢٩ منذر الجيوري: شعراء عراقيون، ص١٥٥

تحضر هذه الدراسة بعمق وحماس شديدين وأثناء ذلك نجحت في إعداد مكتبة صغيرة لها خاصة بالشعر الفرنسي والقصص وكتب النقد والفلسفة.[٣٠]

وفي عـــام ١٩٥٩م عـــادت إلى بغداد بعد أن قضت عدة سنوات في أمريكا لتـــتجه إلى انشـــغالاتها الأدبية في مجالي الشعر والنقد، بيد أنها التحقت عام ١٩٥٤م بالبعـــثة العراقية إلى جامعة وسكونسن لدراسة الأدب المقارن. وقد ساعدتها دراستها هذه المرة للإطلاع على أخصب الآداب العالمية، فإضافة لتمرسها بالآداب الإنكليزية والفرنسية فقد اطلعت على الأدب الألماني والإيطالي والروسي والصيني والهندي.

وأن نازك الملائكة التي أختارت لها أن تدرس في جامعة "برنستون" بالولايات وهـــذه الجامعة خاصة بالأولاد دون البنات فكانت الطالبة الوحيدة فيها وخلال هذه الفترة انتهزت لدراسة نقاد الأدب المعروفين في الولايات المتحدة. فنحن نذكر أسماهم على سبيل المثال: ريتشار وديلمور شوار تزو الن ينت ودونا ستاوفر فهؤلاء الأساتذة لهـــم مؤلفات معروفة وشهيرة في النقد الأدبي كما عرفوا بأبحاثهم المنشورة في مجلات الجامعات الأمريكية وعدة دوريات أدبية.

ومـــع بدايـــة الدراسة أخذت نازك تقابلها صعوبات ومشاكل كثيرة خـــارج عبئها العائلي. وأول مشكلة واجهت هي إعداد الطعام لنفسها فانها لم تعتد علـــيه سابقا. كانت أمها قد أعفتها منذ صغرها من الأعمال المنـــزلية لكي توفر لها وقـــتها وتنصرف كليا إلى نظم الشعر والقراءة. كانت الوحدة تؤلمها وتحز في نفسها. فـــلم تجـــد لها أنيسا سوي الرسائل التي ترسلها إلى أهلها، وكانت تكتب عشرات الرسائل إلى والديها وأخواتها وتنتظر أجوبتهم بفارغ الصبر.

لم تبهر نازك مظاهر الحياة الغربية، ولذلك بقي شكلها الخارجي بسيطا

---

٣٠ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية،

كمـــا كـــان عليه. فكانت لا تعير اهتماما للثياب والزينة والحلي كالسابق. وبقيت تصـــرف نقودها بالدرجة الأولى على شراء الكتب والمجلات والأسطوانات. وكانت في الوقت نفسه تساعد والدها في مصاريف البيت.

لا ريـــب في إن نـــازك قـــد أفادت من رحلتها الدراسية إلى أمريكا وتعلمـــت أشياء كثيرة، منها الإعتماد على النفس في كل الأمور التي تواجهها. وقد اعـــتادت أن تتعامل مع مختلف الناس وتعلمت كيف تسلك معهم وهي الغربية عن أجوائهم وأفكارهم ونمط معيشتهم.[٣١]

وبعـــد عودتهـــا من الولايات المتحدة حضرت مؤتمر الأدباء العرب الثاني في بلـــودان بدمشـــق. وفي عام ١٩٥٨م كانت ثورة ١٤ تموز في العراق التي تركت في قلبها أعمق الأثر وما زال ملتصقا في نفسها وقلبها حتى اليوم. ويبدو أن الاضطرابات السياســـية العراقية أثرت على حياتها فلم يعد العيش في بغداد سعيدا لأسباب معروفة لـــذا آثرت أن تترك العراق وتعيش في بيروت في الفترة (١٩٥٩-١٩٦٠م) أخذت تنشر شعرها القومي في مجلة (الآداب) البيروتية.[٣٢]

وأن الشـــاعرة الكـــبيرة قد اشتغلت بالتدريس في كلية التربية ببغداد منذ عام ١٩٥٧م وخلال عامي ٥٩ و ١٩٦٠م تركت العراق لتقيم في بيروت وهناك أخذت تنشـــر نتاجاتها الشعرية والنقدية ثم عادت إلى العراق لتدريس اللغة العربية وآدابها في جامعة البصرة إلى أن التحقت للعمل بجامعة الكويت.[٣٣]

والآن نريد أن نتحدث من الدارسين والقراء عن ولد نازك الملائكة إنها ولدت ابنا وحيدا، اسمه البراق. فبراق هو سعادتها ونور حياتها وقرة عين لها. فكانت نظمت

---

٣١ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٥٦-٥٧

٣٢ المصدر السابق، ص٥٩

٣٣ منذر الجبوري: شعراء عراقيون الطبعة الأولى ص١٥٥

لإبنها براق في طفولته:

نحـــن صـــغار الأمة نضـــــئ في المـــــلمة
وكلـــــنا حماســـــة لدرســـــنا وهمـــــه
نحـــن صغار الوادي نســـــعد بالإنشـــــاد
نعطـــي لمـــا ما باقة مـــن أجمـــل الأوراد
صـــــاحبنا ملـــــون تمـــرح فـــيه النسمة
وليلـــــنا مـــــنور بـــألف ألـــف نجمة
نحـــب بابـــا وله مـــن قلبـــنا نغـــني
وأرضـــنا نحـــن لها في الغد خير حصن[٣٤]

وضعت نازك إبنها البراق البالغ من العمر عشر سنوات في مدرسة داخلية في الكويت كي يتاح لها وقت الفراغ اللازم الذي كانت بحاجة ماسة إليه غير أن غيابه عن البيت أشعرها وحشة فوجوده قربها يبعث فيها الهناء والبهجة.

وفي عـــام ١٩٦٤م عينت نازك رئيسا لقسم اللغة العربية بكلية الآداب إلى أن التحقـــت للعمـــل في جامعـــة الكويت ثم سافرت عام ١٩٦٥م إلى القاهرة وألقت مجموعـــة من محاضراتها أمام طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات والـــبحوث العربية وقد تم طبع هذه المحاضرات في كتاب بعنوان: "شعر علي محمود طـــه". وفي صـــيف عام ١٩٧٢م سافرت نازك مع زوجها إلى إنكلترا. وأثناء قامتها هناك زارت مسكن رو برت بروك الذي كان يترد عليه لشرب الشاي.[٣٥]

وقـــد قدمت نازك الملائكة استقالتها من جامعة الكويت عام ١٩٨٢م بعد أن

---

٣٤ "حياة شرارة" صفحات من نازك الملائكة ص: ٢١٨

٣٥ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٦١-٦٢

منحـــت اجـــازة خاصة وراتبا تاما لمدة سنة كاملة تقديرا لجهودها ولمكانتها العلمية والشعرية. وقد الفت كتب حول شخصيتها منها كتاب عام ١٩٨٥م بعنوان "نازك الملائكة دراسات في الشعر والشاعرة" بقلم نخبة من أساتذة الجامعات العربية.

وبعـــد ذلك عادت نازك إلى العراق بعد بضع سنوات. ووصلت إلى بغداد في عـــام ١٩٨٧/١٢/١٥م وكانـــت مريضة مرهقة الأعصاب، تتناول الحبوب المهدئة وكانـــت تنام شطرا كبير من النهار. وفي عام ١٩٩٢م قررت جامعة البصرة بمنحها شـــهادة الدكـــتوراة الفخرية تقديرا منها لمكانتها الشعرية ولعملها في جامعة البصرة لبضـــع سنوات عند بداية تاسيسها في الستينات. وقررت الجامعة كذلك أن تقدم لها شـــهادة الدكـــتوراه الفخـــرية في حفلة تخرج الطلبة لعام ١٩٩٢م. غير أن نازك لم تستطع السفر إلى البصرة وحضور الاحتفال بسبب وضعها الصحي.

ويذكـــر الكاتب المعروف الدكتور خضر الولي في رسالة: "فالشاعرة الكبيرة الآن مريضـــة وغـــير قادرة على الكتابة وإنها ما زالت مريضة بالشلل وتتعالج بالأمر والأدويـــة ولا تغادر المنـــزل إلا للطبيب، ونحن ندعو لها بالشفا العاجل لكي تواصل رسالتها الشعرية في خدمة الأدب العربي الزاهر ..... وهكذا فان الكوكب الا مع الذي طلع على سماء الشعر النسوي في العراق في الاربعينات للقرن العشرين، وندعو الله أن يرزقها الشفاء الكامل والعاجل كئ لا يحرم العالم من عطاءها الأدبي.[٣٦]

نازك بين اليأس والرجاء:

نحـــن نريد أن نذكر الحديث عن حياة الشاعرة الفائقة نازك الملائكة، كيف كانـــت حياتها بين الياس والرجاء ... أن نازك الملائكة كانت تميل إلى الإلحاد كما تعـــترف بنفسها واضحة أن ثمة إلحادا في بعض مراحل حياتها أفضى إلى الحزن والقلق

---

٣٦ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، ص٦٥

والحيرة. فالآن نذكر قولها: "لم أكن متدينة في فترات حياتي كلها، بأنني مررت بفترة الحـــاد وتشكك فظيع ما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٥ من الميلاد لأن عوامل كثيرة تجمعت في حياتي وشككتني في وجود خالق مهيمن لهذه الخليقة فنشأ في أعماق نفسي فراغ رهيب لا يملؤه شيء".

فـــإذا نظرنا إلى آراءها وشعرها فوصلنا إلى هذه النتيجة أن مشكلة الموت هي إحدى المشكلات التي قادت الشاعرة إلى حزن العدم في دور شبابها وهي التي دفعتها لـــنظم مطولتها "مأساة الحياة" التي تصرح تشاؤما مطلقا لديها وشعورها الحاد بالألم والعدم مبعثه الخوف من الموت وتقول في إحدى رسائلها: "فقد بقيت أرفض مسالة فـــناء الإنسان اشد الرفض واجد لها في نفسي حز السكاكين، فاتعذب بفكرة الدور الذي سيأكلنا والجماجم التي سنصير إليها وهذه الفكرة بما فيها من رعب وحزن قد هدمت نفسيتي تهديما، وكادت تقضي على حيوية ذهنية وتدمر مستقبلي".[٣٧]

ان نازك قد احست بضرورة هذا التبدل في شعورها لأن الأسى العميق الذي ملأ حياتها بالضيق والحرمان وصبغ شعرها بذلك اللون الأسود الحزين لم يجدها نفعا وأن موجة السخط العارمة لم تحقق أملا من آما لها في السعادة التي بها ومن هنا كانت تســـمية ديوانهـــا الثالث "قرارة الموجة" وقد ذكرت في قصيدتها "أول الطريق" فالآن نذكر هنا.

لنلـــتق فالـــريح تعصف والمنحني لا يعي
وغمغمـــة الهـــاجس المهدد في مسمعي
وهذا الطريق الذي سلبته خطاي السكون
غريب مخيف المعابـــر يشبه لـــون المنون

---

٣٧ عبد الرضا علي: نازك الملائكة دراسة ومختارات، ص٣٢

أحـــس الســـراب

وراء الهضاب

والمـــس في لونـــه مصرعي

وأنت بعيدا وراء الظنون

لنلتق ... إني أخاف المساء الغريب الضياء

أري ماردا من أساتي الممزق يطوي الفضاء

يـــنقل إقدامـــه الســـود بـــين عيون السنا

ويطفئها، عـــدت أخشى أذاه عـــلى نجمنا

فعين الإله

غفـــــــت عـــــــن أذاه

وقـــد يســـتعير لهيب البكاء

ويغمـــده في ابـــتسامنا[٣٨]

ســـنحيا معـــا في عـــوالم حافلـــة بالوعود

ونملـــك لـــيلا يبـــيع النعاس وعطر الورود

ســـينبجس المـــاء حيـــث لمسنا اديم الثرى

ويرقص حـــول خطانا بأجنحة مـــن شذى

سنمحو الزمان

وننسي المكان

هناك ونقسم ألا نعود

إلى أمسِنا المنطوي سرينا[٣٩]

فقـــد نظرنا في قصيدة نازك "أول الطريق" مشاعر جديدة بالأمل والرجاء أو

---

٣٨ ديوان نازك الملائكة: قصيدتها "أول الطريق" ص٢٢٩-٢٣٠

٣٩ ديوان نازك الملائكة ج٢، قصيدتها "أول الطريق"، ص٢٣٢

التفاؤل تتفجر في المقطع الأخير منها حيث تغلبت العزيمة على وساوس المخاوف التي كانت تثيرها الرؤى المرعبة القديمة وذكريات المشاعر القديمة التي ترسبت في الأعماق. وأثر الحساسية الشديدة التي يمتاز بها أو يتكون منها مزاج نازك، فنجد أثر هذا واضحا في قصيدتها "أغنية" تقول فيها:

اسكني يا أغاني الأمل
فالهوى قد رحل
وانطوى سره في مُقل
رُصِفت بالمَلَل

* * *

أين أين ترى تذهبين
في سكون السنين
والطريق الذي تسلكين
صامت لا يبين

* * *

ولمن تخلقين العُطور
والليالي تدور؟
ولمن دفؤك المسحور؟
للدجى؟ للقبور؟

* * *

ولمن أنت والمنشون
رحلوا في سكون؟

والأسى، يا أغاني، ديوان

دفعتمـــا عـــيون

* * *

كم ملأنا بك الأقداح

وسقـــينا الـــرياح

كم منحناك للأشباح

في رضـــا وسمـــاح

فابحثي في شعاب الوجود

عـــن هوانـــا الشـــرود

كفّنا نـــدِيَت بالـــوعود

وهـــو ليـــس يعـــودْ[٤٠]

٤٠ ديوان نازك الملائكة، قصيدتها "أغنية"، ص٢٣٣-٢٣٤

الباب الثاني

في الشعر الحر

الفصل الأول

الشعر الحر بإعتباره الحركة

الفصل الثاني

الشعر الحر بإعتباره العروضي

الفصل الأول
الشعر الحر باعتباره حركة

خلفية الشعر الحر :

لا خلاف فى أن الشعر الحر شى جديد بالمعنى الحقيقى للكلمة فى تاريخ الأدب العربى كما أوضح الأدباء المعاصرون ، وفى مقدمتهم عبد الكريم الدجيلي فى كتابه المشهور والمهم "البند في الأدب العربي- تاريخه و نصوصه"،فتوجد قصيدة من هذا الأسلوب فى القرن الرابع الهجرى وقرضها الشاعر ابن دريد - وهذا هو نصّها:

ربّ أخ كنت به مغتبطاً
أشدّ كفّي بعرى صحبته
تمسّكاً مني با لودّ ولا
أحسبه بغير العهد ولايحول عنه أبدا
ما حل روحي جسدي
فانقلب العهد به
فعدت أن أصلح ما أفسده
فاستصعب أن يأتي طوعاً فتأنيّت أرجيّه (من الهزج)
فلما لجّ فى الغيّ إباءً (هزج ضربه فعولن)
و مضى منهمكاً غسّلتُ إذ ذاك يدي منه (رمل)
ولم آس على ما فات منه
وإذا لج لبي الأمر الذي تطلبه فعد عنه
و تأتي غيره و لا تلجّ فيه فتلقى عنتا و (مكسور)

جانب الغيِّ وأهل الفند واصبر

على نائبة فاجأك الدهر بها[1]

و بعد دراسة هـذا البـند لاحظنا أن هذا الكلام الموزون توجد فيه ميزات مماثلة تجعله يشبه الشعر الحر وهي كالأتي:

قـد حـطـم الشـاعر استقلال البيت العربي ـ واستخدم التضمين أى جعل البيت مفضيا بـمـعـنـاه وإعـرابـه إلى البيت الذي يليه ـ أن الشاعر إبن دريد خالف العرف الشعري، فالاشطر المذكورة ثورة على قواعد الشعر المقبولة المتداولة فى ذلك الوقت.

قـد خرج الشاعر على قانون تساوي الأشطر في القصيدة الواحدة فجمع بين شطر ذى ثلاث تفعيلات و شطر ذي خمس و شطر ذي اثنتين و هكذا .

تـرك الشـاعـر فيـه الـقـافية مـطلقا و كتبه في شعر مرسل و هو شئ لايوجد له مثيل في تاريخ الشعر العربي القديم و خاصة الأبيات المنظومة في القرن الرابع.

والشاعرة الشهيرة نـازك الملائكة أثبتت بالأدلة الأكيدة بأن هذا البند هو نفسه شعر حر للأسباب التالية:

١ـ لأنه شعر تفعيلة لاشعر شطر

٢ـ لأن الأشـطـر فيـه غيـر متسـاوية الـطـول و تباح في كل منهما الحرية في عدد التفعيلات فيجئ الشطر طويلا أو قصيراً حسب رغبة الشاعر وحاجة معانيه.

٣ـ لأن الـقـافية فيـه غير موحدة وإنما ينتقل الشاعر من قافية إلى قافية دون نظام أونموذج محدد.

٤ـ إنـه شـعـر ذو وزنيـن هـمـا الـرمـل والهـزج، استعملهما الشاعر حسب قواعد العروض العربي بطريقة فنية.[2]

و بـعـد دراسة بـعـض البـحـوث وصـلـت إلـى هـذه النتيجة أن البنود تنتميإلى القرن الـحـادي عشـر و يـمـكـن أن بدايات الشعر الحر ترجع إلى هذا القرن ـ و يقول بعض النقاد أن

---

١ ـ نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصرً ص٨

٢ـ فرحانة صديقى: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية

جذور الشعر الحر توجد في الموشحات الأندلسية- في الحقيقة أن حياة اللهو والمجون والغناء فى الأندلس بينما أدت إلى اختراع الموشح فإنها أيضا قد حددت له وزنه و حرره من قيود الشعر التقليدي و قوالب الأوزان المعروفة و عبودية القافية الموحدة . و فى هذه المسألة المهمة يرى المحافظون خروجا على القديم و بدعة شعرية لم يستعملوها واعتبرو ضعفا.

ولكن تقول الشاعرة الشهيرة نازك الملائكة "أما الموشحات الأندلسية فان المشهور المحفوظ منها يقوم على أساس المقطوعة، و يحافظ على طول ثابت للأشطر، وحتى إذا تساهل بعض التساهل فى الطول ، فإن ذلك يجري في حدود معينة تجعل الموشح أبعد ما يكون عن الشعر الحر- وانما الشعر الحر شعر تفعيلة بينما بقي الموشح شعرا شطريا.[٣]

ولكن هذا الأسلوب لم يتقبله الجمهور لأنه كان يتنافر مع ذوقهم الشعرى ولعل العصر كله لم يتقبل الشكل الجديد آنذاك، فانتهى رواجه وتراكم عليه غبار الزمن إلى أن بدأت حركة الشعر الحر في الشعر العربي المعاصر كحركة ذات شكل خاص و نظام خاص سنة ١٩٤٧م فى العراق بل في بغداد نفسها وزحفت هذه الحركة حتى سادت العالم العربي كله-

وعلى الأغلب أن أول قصيدة حرة الوزن هي قصيدة نازك المعنونة بـ" الكوليرا" وهي من الوزن المتدارك (الخبب) والخبب معناه - خب - يخب- خبا و خبيبا و خببا- واختب الفرس فى عدوه : راوح بين يديه و رجليه أى قام على احداهما مرة و على الأخرى مرة ومنه المثل - إما خبت وإما بركت: " (المنجد).

وإنتخبت الشاعرة الفائقة نازك الملائكة هذا الوزن لقصيدتها لأنه كان يعبر عن مشاعرها تعبيرا حقيقيا بحيث أنها سمعت انه توفى آلاف من الناس بمصر فى وباء الكوليرا فى يوم واحد . وليس هناك أحد يقوم بتدفينهم .حسب الأعراف التقليدية بسبب ضخامة عددهم فحملوا الجثث على الخيولنقلها إلى المدفن- فكانت تتخيل وقع أرجل الخيول وقد استعملت التكرار لخلق التاثير المطاوب كما يبدو في مطلع القصيدة :

الموت الموت الموت

تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

٣- نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصرً ص٣٨

ان الشعراء الذين يعيشون فى العراق و غيرهم فى جميع أنحاء العالم العربى كانوا ينظمون أشعارهم على غرار القدامى حتى الحرب العالمية الثانية هولاء الشعراء يلتزمون بالبحور التقليدية المعروفة و يتناولون موضوع الأحداث الخارجية عن النفس ، ثم مضت فترة قصيرة وأخذ الشعر و موضوعاته تتغير وآفاقه تتوسع فى بلاد المهجر و مصر و لبنان- فاصبح الناس يشعرون عند القراء ة بطرافة الخيال وخصب العاطفة و عذوبة اللفظ ونزعة الحب والإنسانية و دقة التعبير وأصداء لعواطفهم و أهوائهم - فبرز في العراق جيل ناشئ من الشعراء الرومانطيقيين متأثر بما كان ينشر فى المجلات خاصة "الأديب" في لبنان و"الرسالة" فى مصر- فصدر بعض الكتب والدواوين للشعراء البارزين آنذاك امثال مجهود حسن إسماعيل و على محمود طه و الياس أبي شبكة و عمر أبي ريشة وظهر أثرها فى شعر "بلند الحيدري و صفاء الحيدري و حتى في شعر السياب ونازك والبياتي نشأوا اثناء فترة الحرب الثانية.

فأخذ الشعراء يطالعون الأدب الغربي و يتأثرون به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة استفادوا من آداب الغرب. ورحبوا بجميع الثقافات الغربية بصدور رحبة و عقول مفتحة ، و إطلاع اكثر على الأدب العالمي - واكتشف المتعلمون مدرسة محدثة فى الفكر والأدب - فظهرت بوادر الإنقلاب الحديث فى الشعر وانعكست عليه بقوة و تغير مفهوم الأدب شكلا ومضمونا على السواء - وكان من نتاج هذا التغير الدعوة إلى التحرر من قيود القافية والأوزان و تعرف هذه الدعوة فى العراق بإسم "الشعرالحر".[٤]

اختلف الدارسون والنقاد في تحديد بواكير هذا الشعر، فذهب بعضهم الى أن أصوله ترجع إلى الرشحات الأندلسية ، وزعم فريق آخر، أن أوّلياته نظمت في أواخر العقد الرابع من هذا القرن و توسّط فريق ثالث بين هذين، فارجع بدايته إلى أواخر الحرب العالمية الأولى.

أما الفريق الثاني الذي يرجع بدايات الشعر الجديد إلى أواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر فتتقدمه نازك الملائكة زاعمة أن اوّل قصيدة نظمت فيه هي قصيدتها المعنونة.ب الكوليرا التي نظمتها على وجه التجديد فى ٢٧-١٠-١٩٧٤م وكنت كتبت تلك القصيدة أصوّر بها مشاعري نحو مصر الشقيقة، خلال وباء الكوليرا الذى داهمها، و قد حاولت فيها

٤-منيف موسى : نظرية الشعر،ص٤١١

التعبير عن وقع أرجل الخيل التي تجرّ عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر، و نازك الملائكة إذ تزعم أنها سيّاقة إلى اكتشاف الشعر الحر و إلى النظم به و تقول أن قصيدتها الكوليرا مبنية على وزن البحر المتدارك "الخبب" و منها هذا .

المقطع :

طلع الفجر

أصغ إلىٰ وقع خطي الماشين

في صمت الفجر، أصغ، أنظر ركب الباكين إلى آخره .

و تقول نازك بعد هذه القصيدة أنه صدر في النصف الثاني من ديسمبر عام ١٩٤٧م ديوان أزهار ذابلة" لبدر شاكر السيّاب، و فيه قصيدة حرة الوزن من بحر الرمل عنوانها "هل كان حبا" وهى تودُّ أن تثبت لنفسها الأسبقية في هذا المجال .

أما الفريق الثالث فيرجع بواكير الشعر الحر إلى أواخر الحرب العالمية الأولى ، و إلى شعراء المهجر الشمالي، و إن شعراء الرابطة القلمية تفنّنوا في استخدام الأوزان الخليلية و تنسيقها و تغيير قافيتها بين مقطع آخر .

لما بدأ الشعر الجديد ينتشر في الأقطارنال قبولاواسعاً و استحساناًكبيراً من بعض النقاد كما لاقى هجوما عنيفا من الآخرين و معظمهم من المحافظين لأنهم راوا في طريقة نظمه و لغته ما يخالف طرائق منهج القدماء و لغتهم.

فأنا أريد أن أبيّن أمامكم بإبداء حركة الشعر الحر ... فبد أت هذه الحركة أى حركة الشعر الحر سنة ١٩٤٧ م فى العراق و من العراق بل من بغداد نفسها و دوت أصداء ها فى الوطن العربي كله عند ما نظمت الشاعرة العظيمة نازك قصيدتها المعنونة بـ "كوليرا" فى عام ١٩٤٧ من الميلاد .

تقول الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة "قد نظمتها فى ٢٧ـ ١٠ـ١٩٤٧م و بعد ذلك أرسلتها إلى بيروت لتنشيرتها فى مجلة (العروبة) في عددها الصادر في أول ديسمبر ١٩٤٧م- كنت كتبت تلك القصيدة أصور بها مشاعري نحو مصر الشقيقة خلال و باء الكوليرا الذى

داهمها. و قد ساقتني ضرورة التعبير إلى اكتشاف الشعر الحر. و نفس العام الذى انتشر فيه و باء الكوليرا فى مصر و فى هذا الصدد تكتب نازك فى مقالة لها "كنت اسمع المذيع يعلن عدد الموتىٰ بالوباء يوميا فلما بلغ العدد ثلاثمائة تأثرت تأثرا شديدا و نظمت قصيدة عنوانها "الكوليرا" جعلتها من شعر الشطرين في رباعيات أن لم تخنى الذاكرة لأن القصيدة لم تعجبني ولا حت لي باردة فاترة لا إحساس فيها ـ و كنت أحس أنني اريد أن انظم قصيدة تلائم عدد الموتى بالوباء تعبر عن شعوري تعبيرا كاملاً ـ واخذت القلم و كتبت على القصيدة "فاشلة" ـ

قد سمعت الشاعرة الفائقة بعد ايام أن عدد الموتى فى مصر بلغ الفا فى يوم واحد. كدت ابكى و قفزت من السرير و تناولت اوراقا و قلما و غادرت بيتنا الذى كان مليئا بالحرية والأصوات كل جمعة ولجأت إلى بناية كانت تبنى إلى جوار بيتنا فصعدت إلى سطحها و جلست على دكة فيه ورحت انظم قصيدتي المعروفة بـ "الكوليرا" و بدأت هكذا "سكن الليل".[٥]

قد شعرت نازك بضرورة التجديدية في قرض الشعر العربي لأنها اطلعت على الأدب الغربي و تأثرت بمخارج من الشعر الأوربي بوجه عام والأنكليزى بوجه خاص، و خاصة شعرا "كيتس الإنكليزي" الرومانسي و شعر "بوالرومانسي الأمريكي" و شعر "رويرت يروك انكليزي'

تنكر نازك حركة التجديد وإنما هي تعديل فى نظام من أجل ما يلائم التعبير الجديد، و لذلك سميت هذه الطريقة بإسم "الشعر الحر" أى الشعر الذي تحلل من قيود الأوزان العروضية. و من نظام القوافي :

سكن الليل

اصغ إلى وقع صدى الأنات

في عمق الظلمة ، تحت الصمت، على الأموات

"وما كنت انتهي من نظم القصيدة حتى هرعت بها إلى أختى إحسان التى كانت أول من قرأها و قد بدأت اعجابها الغامر بها و قالت لي أنما ارتعش حماسة و أشعر أننى قد أعطيت

٥ـ فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية' ص٢٦٩

الشعر العربي شيئا ذيقصيدة كبيرة :[٦]

وكذلك تذكر نازك فى كتابها "قضايا الشعر المعاصر" ان الشاعر بدر شاكر السياب اصدر ديوانه "ازهار ذابلة" في بغداد في منتصف كانون الأول فى سنة.....، و كانت فيه قصيدة بعنوان "هل كان حبا" علق عليها فى الحاشية بأنها من الشعر المختلف الأوزان والقوافي-

أما المحاولة الجدية فى الشعر الحر (Free Verse) والأولى من نوعها إذا أردنا أن نحدد مفهوم الشعر الحر فهي للأستاذ الشاعر بدر شاكر السياب، و ذلك باكتشافه قدرة البحر "الكامل" الهائلة على ملاءمة التحرر بقصيدته "السوق القديم" المنشورة في جريدة "النفير" البغدادية فى تشرين الثاني عام ١٩٤٨ .

قال الدكتور كاظم جواد أن قصيدتها "الكوليرا" لم تكن مطلقاً من الشعر الحر و أنها لم تتحرر مطلقا من القافية بل هي التزمت نظاما خاصا من حيت الترتيب- ولكن لا يتفق "د-جلال خياط" مع رأى كاظم جواد و يؤكد أن نسيب عريضة لم يكن أول من نظم الشعر الحر والسياب لم يكن أول من ابتدعه ـ و نازك الملائكة لم تكن منشئة هذا النوع من النظم ويستند "خياط" فى هذ الصدد على ما قاله الأستاذ خشبة في الرسالة المصرية من أن "الأوربيين عرفوا الشعر الحر منذ وقت بعيد وإن "ملتن" و لا فو نتين وغيرهما نظموا الشعر الحر. وإن بعض الأدباء و الشعراء المصريين ادخلوا الشعر الحر والمرسل فى مطلع هذا القرن إلى الأدب العربي.[٧]

كانت الشاعرة المبدعة نازك الملائكة تنزعج من الهجمات التي تعرض لها على صفحات المجلات و معظمها يتعلق بزيادتها للشعر الحر و كان هجوم عبد الوهاب البياتي على الأخص ، قويا رغم أنها لم تتعرض له بالنقد فى كتاباتها- و مرجع ذلك أن البياتي كان يظن نفسه إنه هو الرائد الحقيقي للشعر الحر فى العالم العربي وليست نازك الملائكة أوالسياب. غير أن النقاد الكبار و من مقدمتهم الدكتور احسان عباس أعلن و أوضح فى

٦- نازك الملائكة: الشعر فى حياتي' ص ١٩٠

٧- مجلة الآداب' حول الشعر الحر' ابريل ١٩٥٤م.

كتابه أن الشاعرة نازك الملائكة هي الرائدة الاولى للشعر الحر في العالم العربي.

أسباب الشعر الحر :

أما العوامل التي دفعت الشعراء الجدد إلى اعتماد طريقة جديدة في نظم الشعر فهي في الرأي تتخلص فى أثر الثقافات الغربية أو النظريات الحديثة في الأدب والفنون السائدة عند الغربيين وخاصة الإنكليز على الشعراء العرب المعاصرين. ويعترف زعماء الشعر الحر بأنفسم بأنهم قد تأثروا بشعراء الغرب حتى في طريقة كتابة قصائدهم. يقول بدرشا كر السياب :

"بين الشعراء الغربيين الذين تأثرت بهم فى بداية الأمر، شيلي و كيتس ثم اليوت ، ثم أيدت سيتوبل، و حين استعرض هذا التاريخ الطويل من التأثر أجد أن أبا تمام و أيدت سيتوبل هما الغالبان. فالطريقة التي اكتب بها أغلب قصايدي الآن هي مزيج من طريقة ابي تمام و طريقة أيدت سيتوبل:

"و يبدوا أن نازك تأثرت بالشاعر و ردزورت تأثرا عميقا، لقد أراد وردزورث أن يبدأ طريقة جديدة للخروج على المذهب الكلاسيكي السائد في ذلك العصر. و قدم أمام الجمهور خصائص الشعر الجديد. ودعا إلى استخدام اللغة اليومية التي يتحدث بها الناس فعلا لأنها اصدق تعبيرا و أقرب إلى مشاعر الناس الذين يخاطبهم الشاعر، و أشار إلى ترك بعض المصطلحات الكلاسيكية لأنها في رأيه غير ملائمة و تكرارها في الكثير من القصايد افقدها قوة إيحائها. كما قالت نازك : "في الشعر ، كما في الحياة، يصح تطبيق عبارة برنا ردشو: "اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية" بسبب هام ، هو أن الشعر وليد أحداث الحياة، ليس للحياة قاعدة معينة تتبعها فى ترتيب ولانمازج معينة للألوان التي تتلون بها أشياؤها و أحاسيسها"[٨]

الشعر الحر بين المناصرين والمخالفين :

يفهم مؤيدو الشعر الحر أن في بعض الأحيان تقع أحداث في الحياة يصعب التعبير عنها بالتزام الأوزان والقوافي وهذا ما يخلق في قلوبهم الإحساس با لضيق والملل.

وهكذا ينص رأي نازك الملائكة على الحرية الفنية والأدبية والإجتماعية في الشعر ،

٨- نازك الملائكة: مقدمة ديوان شظايا ورماد' ص٧

بل و في الفن إذا صح التعبير ، ولا يمكن أن نحدد للشاعر خطه و مسار شاعريته ، فالحياة غنية والكون رحب فسيح والشاعر حر فى أن يختار موضوعاته، وحر في التعبير عما يريد وبأي طريقة يشاء ، والشعر يظل شعراً سواء كان ذا غاية إجتماعية أم لم يكن فالدعوة إلى اجتماعية الشعر في رأئ نازك : دعوة هدم ساذجة ينبغى أن نجند قوانا الذهنية كلها في كبح اندفاعها ورد سذاجتها المستبدة عن الشعر العربي.[٩]

قد حاول السياب ان يبرر الشعر الحر فى مقدّمة مجموعة "أساطير" فى ١٩٥٠م فيقول : "أنا من المؤمنين بأن على الفنان دينا يجب أن يؤديه لهذا المجتمع البائس الذى يعيش فيه ، ولكنني لا ارتضي أن نجعل الفنان ـ وبخاصة الشاعر. عيدا لهذه النظرية : والشاعر إذا كان صادقا فى التعبير عن الحياة فى كل نواحيها ، فلا بد من أن يعبر عن آلام المجتمع وآماله، دون أن يدفعه اخذ إلى هذا.

كان يعتقد أبوشادي أن الأوزان الخليلية و قافيتها تستعبد الشاعر فحاول التجديد ما حاول ، لكنه فى كل ما جاء به لم يكن صادراً إلا من قلب الموروث العربي، و في بعض الأحيان من التراث الغربي ، و هذا دليل آخر على أن الشاعر العربي الحديث، في سياق دعوته التجديد ة ، ظل معلقا عليه بالتراث العربي وعلينا بالتراث الغربي أن يتزاوج بينهما في عملية مصالحة حضارية ثقافية تفيد الإنسان.[١٠]

فإن تجربة الشعر الحر نظير أى محاولة للتجديد قوبلت بمعارضة شديدة لدى النقاد من مؤيدي الشعر الكلاسيكي فوجهوا نقدا الاذعا إلى هذه التجربة الجديدة مؤكدين انها بدعة دفعت بالجيل الناشئ إلى الضلال بتبني حركة خارجة عن الأوزان العربية التقليدية، فقال بعضهم، إنّ الشباب مولع بالاغراب و الشذوذ ، و قال آخرون "إن الجيل الجديد كسول يضيق بالجهد ولا يصبر على متاعب الشطرين وأهوال القافية الموحدة فتلجأ إلى السهولة" ـ ورأت جماعة أخرى إن الحركة بمجملها منقولة عن الشعر الأوربي ولا علاقة

٩ـ نازك الملائكة:قضايا الشعر المعاصر' ص٢٦٩

١٠ـ نفس المصدر' ص٤١٢

١١ـ نفس المصدر' ص٥٤

لها بالشعر العربي.[11]

فقد أوضحت الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة في تبرير الشعر الحر: وتقول "لا يصلح للمطولات لأن موسيقاه أقل من موسيقي الشطرين، و المطولات تحتاج إلى الغنائية و علو الأنغام تساعد القاري على تقبل قصيدة طويلة فيها فلسفة و مشاعر معقدة متضاربة. إن الأوزان الحرة رتيبة ولذلك استعملها للقصائد القصيرة فحسب. أما المطولات فلا بد من شعر الشطرين الذي يحتمل الإطالة و يكسوها بالموسيقي و الصور".[12]

فقد بينت نازك الملائكة عن "الشعر الحر" أنه يتعرض للرتابة بسبب وحدة التفعيلة وتكرارها، فهو يصلح لقصيدة قصيرة ولا يصلح لمطولة شعرية، وليس في هذا إنتقاص للشعر الحر، وإنما أبني حكمي هذا على عين القواعد التى أبنى عليها قولي إن شعر الشطرين الموحد القافية لا يصلح للموضوعات كلها، ولذلك نلجأ إلى الشعر الحر حين نعبر عن بعض مشاعرنا.

ذكر أحمد ابو سعد في كتابه "الشعر والشعراء في العراق" بأنه قد ظن الكثير أن في هذا الأسلوب خروجا على قواعد الشعر العربي يهدم عبقريته ويضعف موسيقاه- "لا اعتقد بأن هذا الظن يثبت عند الدرس أو يجد فى أساسه على "التفعيلة" التي هي القاعدة أو الوحدة النغمية التي بنى عليها الخليل بي أحمد أوزانه، وهذه القاعدة تقيد بها ذوو الشعر الحر فلم يخرجوا عليها في الإحساس الذى وضعوه لأوزانهم، إلا أنهم قد تحللوا من صورها، التي حصرها الخليل في أشكال خاصة، تجئ فيها التفعيلة متكررة تارة، و متداخلة مرة أخرى، فعمدوا إلى الأبحر التي ترتكز إلى التفعيلة الواحدة المتكررة، واستغلوا خاصيتها الرائعة التي تجعلها قابلة لأن ينبثق عنها مثل هذا الشعر، و ولدوا اسلوبهم الجديد الذي يقوم كما ترى على القديم ويضيف إليه جديدا من صنع العصر-

أما نازك الملائكة فانها بصفتها رائدة الشعر الحر حاولت تبرير هذه التجربة الجديدة و دافعت عن قضيتها استنادا على بعض الأدلة الأكيدة مؤكدة أن بعض الشعراء الجدد الذين

١٢- دكتور حياة شرارة: صفحات من حياة نازك، ص١٤٨

يكتبون قصائدهم بالشعر الحر و يرتكبون الأخطاء العروضية يجهلون عن القواعد التي وضعت للشعر الحربين عام ١٩٤٩م و عام ج ١٩٦٢م، وبذلك ساهموا في هدم الناحية العروضية من الشعر الحر- ووصفت نازك الملائكة الشعر الحر بأنه "أسلوب" في ترتيب تفاعيل الخليل تدخل فيه بحور عديدة من البحور العربية الستة عشر المعروفة.

الفصل الثاني
الشعر الحر باعتباره العروضى

الشعر الحر وتعريفه :

الشعر الحر: الشعر الحرهو شعر ليس له وزنا معينا أو أوزانا، أو شعر يتحرر من قيود الأوزان العروضية و من نظام القوافي. ولا يتقيد الشعر الحر بقافية واحدة، ولا ببحر ، و تقيم القصيدة على "التفعيلة" بدلا من الشطر. و على حد قول "جلا ل خياط ان الشعر الحر Free Verse هو الذى لا يخضع لسلطان القافية والتفعيلات فللشاعر أن يستعمل من التفعيلات فى البيت الواحد ما يشاء على ألا تتعدى الأربع في ا لعادة - وله حرية واسعة فى ترتيب قوافي القصيدة بحيث تكون متشابكة أو متلاحقة "لا يجوز فى الشعر الحر تعدد البحور لأنه يحتاج إلى الموسيقى المتدفقة للتعويض عن القوافي و عن عدد التفعيلات المختلف فى كل بيت.

الشعر الحرّ:

الخليل احمد بن الفراهيدي وضع بحوراً كثيرة والتي تشتمل على تفعيلات مختلفة و نذكره هنا بعض البحور التي تستخدم كثيراً ـ

١ـ بحر الطويل : فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعيلن

٢ـ بحر الكامل : متفاعلن، متفاعلن، متفاعلن،

٣ـ بحر الوافر : متفاعلتُنْ، مفاعلتن، مفاعلتن، فعولن

٤ـ بحر الرجز : مستفعلن مستفعلن مستفعلن

٥ـ بحر الهجز : مفاعيلن مفاعيلن

٦ـ بحر البسيط : مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فاعلن

٧ـ بحر الخفيف : فاعلاتن، مستفعل،فاعلاتن

٨ـ بحر السريع : مستفعلن، مستفعل، فاعلن

الشعر الحر و أسلوبه : نريد أن نقدم على القراء والكتاب من الشعر الحر و أسلوبه في ترتيب تفاعيل الخليل تدخل فيه بحور عديدة من البحور العربية الستة عشرة المعروفة. ولذلك فإن اول مدخل ينفذ منه الشعر الحر إلى كتب العروض أن يحصى مع الأشكال الشعرية العامة التي ندرسها. و أنا افترح أن أنص كتاب العروض على أن العرب - و منهم نحن المعاصرون و قد قرضوا معظم الشعر العربي بهذا الأسلوب . والبيت شعر ذو شطرين متساويين و فى كل شطر تأتي تفعيلة حسب البحر الذى وضع له هذه التفعيلة أى تفعيلتان كما في الهزج والمضارع.

بحر الهزج :

شطره (مفاعلين ـ مفاعيلن) أن تفعيلة مفاعيلن تأتي مرتين في شطر واحد ـ

مضارع : - مفاعيلن- فاعلاتن- مفاعيلن مرتين أو ثلاث تفعيلات كما فى الكامل والسريع.

ضرب واحد لايتغير و يسمى في الأدب بالأرجوزة كما في أبيات امرئ القيس :

تطاول الليل علينا دمون

دمون أنا معشريمانون

وإننا لأهلنا محيون

بحر الكامل:- شطره (متفاعلن- متفاعلن - متفاعلن) أى تفعيلة متفاعلن تأتى ثلاث مرات فى شطر واحد ـ

بحر السريع:- مستفعلن مستفعلن فاعلن (مرتين) أو أربع تفعيلات كما في المتقارب والبسيط ـ

بحر المتقارب:- شطره (فعولن - فعولن - فعولن - فعولن -) أى تفعيلة فعولن تأتي أربع مرات في شطر واحد ـ

البسيط:- مستفعلن ـ فاعلن ـ مستفعلن (مرتين)[١٣]

١٣ـ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية وشعرية ص٢٨٦

لكن قالت نازك لايشترط فيه أن يكون العروض والضرب متساويين و إنما يكون التغيير فيه حسب الضرورة الشعرية كما فعلى عمر أبى ريشة في بيته (من الرمل)

كنت كالملاح في لجته

كسرت مجدا فه الريح فتاها

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

(ب) اسلوب الشطر الواحد:-

هو شعر يتألف كل شطر فيه من تفعيلات ثابتة العدد عبر القصيدة كلها، و يكون له ضرب واحد لا يتغير و يسمى في الأدب بالأرجوزة كما في أبيات امرئ القيس :

تطاول الليل علينا دمون

دمون أنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون

أسلوب الموشح:-

الموشح شعر ذوشطر واحد وإن لم يخل أحيانا مما يبدو على صورة البيت و قد تكون أطوال أشطر الموشح متساوية كفول الشاعر من البحر السريع:

عبث الوجدُ بقلبي فاشتكى

ألم الوجد فلبّت أدمعي

أيها الناس فوأدي شغف

وهو من بغي الهوى لا ينصفُ

كم أداريه و معي يكفُ

أسلوب الشعر الحر:-

و هو شعر ذوشطر واحد ليس له طول ثابت و إنما يصحّ ان يتغير عدد التفصيلات من شطر إلى شطر ـ ويكون هذا التغير وفق قانون صروضي يتحكم فيه أو وضع للشعر الحر ـ[١٤]

١٤ـ نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر ص ٧٣ـ٧٤

أسلوب البند:-

تقول نازك الملائكة أن أسلوب البند فرع قائم بذاته إذ أنه يجمع و زنين اثنين من دائرة واحدة وهما (الهزج) و(الرمل)، في حين يفهم كثير من الدراسين أنه يقتصر على وزن واحد هو (الهزج)-

الشعر العربي

اسلوب الشطرين　　اسلوب الشطر الواحد

الشطر المتغير الطول　　الشطر الثابت الطول

(الارجوزة)

الشطر المتغير الطول

ذو الوزن الواحد　　ذو الوزنين

(الشعر الحر)　　(البند)

يبين هذا التخطيط أساليب الوزن في الشعر العربي، و مكان الشعر الحر منها.

تفعيلات الشعر الحر:

مبدأ الوزن للشعر الحر أنه يقوم على وحدة التفعيلة ـ أى تكون تفعيلة واحدة في طول القصيدة. لكن في كل حال تأتي نفس التفعيلة فيكتب الشاعر، من بحر الرمل ذى التفعيلة الواحدة المكررة ، فتجري أشطرها على هذا النسق، و على سبيل المثال :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

فنظرنا هنا أن تفعيلة "فاعلاتن" لم تتبدل أبدا رغم تبدّل طول الأشطر أى جاءت "فاعلاتن" اربع مرات فى الشطر الثانى و ثلاث مرات فى الشطر الثالث ـ أن الشاعر حرفى

إختيار عدد التفعيلات فى الشطر الواحد، و من تفريعات هذا القانون البسيط أنه يمكن نظم الشعر الحر بتكرار أية تفعيلة مكررة في الشطر العربي المعروف، سواء ا : كان البحر صافيا مثل المتقارب :

فعولن فعولن فعولن فعولن

أو ممزوجاً مثل السريع :

مستفعلن مستفعلن فاعلن

فإنما تكون الحرية ، فى الشعر الحر فى حدود التفعيلة المكررة فى الأصل الشطر العربي- فإذا كانت التفعيلة منفردة فى الشطر كما في (فاعلن) في شطر السريع فلا يجوز للشاعر أن يخرج عليها فلابد له أن يأتى بها في مكانها و يختم بها قصيدتها، و فى الحقيقة أن نظم الشعر الحر فى البحور الصافية اسهل منه في البحور الممزوجة-

ولكن الشعراء المعاصرين الذين كتبوا في الشعر الحر ارتكبوا اخطاء فاحشة لأنهم لم يشخصوا معنى الحرية تشخيصا واضحا- و لعلهم اعتقدوا انها حرية مطلقة لا قانون لها- ولذلك نجدهم امتزجوا البحور فيما بينها فنظموا قصائد حرة مرة في البحر السريع و مرة أخرى فى الرجز و هكذا-[١٥]

بحور الشعر الحر و تشكيلاته: -

١- أوزان البحور: إن نظم الشعر الحر ممكن من نوعين من البحور الستة عشر التى كتبها خليل بن أحمد الفراهيدي في العروض العربي و هما:

١- البحور الصافية-

٢- البحور الممزوجة-

١- البحور الصافية : وهي التى تستخدم في شطريها تفعيلة واحدة بست مرات وهذه هي :

الكامل، شطره (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)

الرمل، شطره فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن)

الهزج، شطره مفاعلين مفاعيلن مفاعيلن)

١٥-د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة و اثارها الأدبية والشعرية ص ٢٩٠

الرجز، شطره مستفعلن مستفعلن مستفعلن)

و من البحور الصافية بحران أثنان يتألف كل شطر فيهما من أربع تفعيلات وهما:

المتقارب، شطره (فعولن فعولن فعولن فعولن)

المتدارب، شطره (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن)

أو (فعلن فعلن فعلن فعلن)

ينبغى لنا أن نضيف هنا وزن (مجزوء الوافر) (مفاعلتن مفاعلتن) فإنه من البحور الصافية و شطره تفعيلتان.

ب- البحور المزوجة : -

تسمى هذه البحور الممزوجة لأنها تمتزج بتفعيلات متعددة خلاف تفعيلة واحدة كما فى البحور الصافية، وهي التى يتألف الشطر فيها من اكثر من تفعيلة واحدة بتكرار إحدى التفعيلات منها.

السريع، شطره (مستفعلن مستفعلن فاعلن)

الوافر، شطره (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)

أما البحور الصافية أسهل منه في البحور الممزوجة، لأن الشعر الحر منها ينظم بتكرار التفعيلة الواحدة له ، والشعر له يرتكبون الأخطاء فى كتابة الشعر بإستخدام البحور ذات التفعيلتين أو اكثر.

إن القصيدة الحرة من البحر الوافر ينبغي أن تجري ، على هذا النسق فعلى سبيل المثال:

مفاعلتن فعولن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

مفاعلتن فعولن

ظواهر قضايا في الشعر الحر:

مما لا ريب فيه أن الشعر الجديد اقتضىٰ من الشعراء إستعمال لغة جديدة، و تركيب و

مصطلحات جديدة، ماداموا قد تاثروا بالشعر العربي ويلاحظ في هذا الشعر بعض الظواهر التي لم تكن وجوده في الشعر العربي كظاهرة التكرار بعض الكلمات أو العبارات ، واستخدام بعض الرموز والإستفادة فى الأساطير والاستعانة بالتاريخ و ذكر بعض أعلامه واستعمال بعض الكلمات الأجنبية و العامية ، لكن الظاهرة الكبرىٰ التي تلفت النظر فيه هى إتشاح هذا الشعر بالغموض والإبهام ، و هذا الغموض يتأتي غالبا من استخدام اللفظ رمز الفكرة معينة ـ

ان أصحاب الشعر الجديد يستخدمون الاساطير والرموز فى شعرهم الجديد و هذه الأساطير والرموز يستمد من التاريخ واللغة ، وهى اصطلاحات "تشير الى مضامين معينة، و قد استخدم ناظمو لشعر الحر رموزاً تاريخية و اسطورية مثل "السندباد" شهريار" "ايوب" "سقراط" "ابوالهول" وغيرها، فاسند باد مثلا كما تعرفه فى الحكايات الشعبية من التراث العربى ـ

عيوب الوزن الحر:

أن الشعر الحر له ميزات كثيرة و منها : الحرية والموسيقية ، و التدفق. لامجال لها بالتفصيل هنا، بل نريد أن نذكر أمام القراء عيوبا الوزن الحر، إنما تنشأ تلك العيوب عن طبيعة الشعر الحرّ نفسه ، و أظهرها عيبان إثنان يجتمع أصل كل منهما إلى تركيب التفعيلات في الشعر الحرّ، فأذكر هنا النكات المهمة... مما يلي :

(الف) يقتصر الشعر الحرّ بالضرورة على ثمانية بحور من الشعر العربي الستة عشر، و في هذا للشاعر غبن يضيّق مجال إبداعه، فلقد ألف الشاعر العربي أن يجد أمامه ستة عشر بحراً شعريا بوافيها و مجزوئها و مشطورها و منهوكها ، و قيمة ذلك في التنويع والتلوين ومسايرة مختلف أغراض الشاعرة الكبيرة ، بحيث يصبح إقتصار الشعر الحر على نصف ذلك العدد نقصاً ملحوظا فيه ـ

(ب) يرتكز أغلب الشعر الحرّ- ستة بحور منه من ثمانية- إلى تفعيلة واحدة، و ذلك يسبب فيه رتابة مملّة، خاصة حين يريد الشاعر أن يطيل قصيدته، و تقول نازك الملائكة أن الشعر الحر لايصلح للملاحم قط، لأن مثل تلك القصائد الطويلة ينبغى أن ترتكز إلى تنويع دائم، لا في طول الأبيات العدديّ فحسب، و إنما في التفعيلات نفسها وإلاسئملا القاريْ، و مما يلاحظ

ان هذه الرتابة في الأوزان تحتم على الشاعر أن يبذل جهداً متعباً في تنويع اللغة و توزيع مراكز الثقل فيها، و ترتيب الأفكار ، فهذه كلها عناصر تعويض تخفف من وقع النغم الممل.[١٦]

الشعر الحر و مستقبله:

نحن نود أن نذكر للقراء والدارسين نبذة من الشعر الحر. فينبغي له ألا يطغى على شعرنا المعاصر كل الطغيان، لأن أوزانه لا تصلح للموضوعات كلها، بسبب القيود التي تفرضها عليه وحدة التفعيلة وإنعدام الوقفات وقابليته التدفق والموسيقية. فتقول الشاعرة الشهيرة الكبيرة في حركة الشعر الحر :

"مستتقدم في السنين القادمة حتى تبلغ نهايتها المبتذلة ، و قد وجدت أنها لا تختلف عن أية حركة أخرى للتحرر، سواءً كانت وطنية أم إجتماعية أم أدبية ، و من هذا السبب تقول نازك : "أنا أجد نبؤتي تلك قد تحققت بكل حرف فيها، وإذا صح لي أن أطرح نبؤة جديدة، أبنيها على مراقبي للموقف الأدبي في وطن العربي اليوم ، فأنا أتنبأ بأن حركة الشعر الحر ستصل إلى نقطة الحزر في السنين القادمه، وإنما سيبقى الشعر الحر قائما ما قام الشعر العربي" ـ قد ذكرت للقراء هذه النكات المهمة بعد مطالعة كتاب "قضايا الشعر المعاصر"ـ

١٦ـ نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص ٤٧

الباب الثالث

نازك الملائكة والشعر الحر

الفصل الأول

نازك الملائكة والشعر الحر

الفصل الثاني

مختارات من قصائد نازك الملائكة

الفصل الأول

نازك الملائكة ومساهمتها في الشعر الحر:

ان نـــازك الملائكـــة شاعرة كبيرة ورائدة مجددة طليعية في تكنيك الشعر الحر ودارسته ونقده، يتصف شعرها بالحساسية الزائدة بالألم الحاد. إنها تصورت في فجر عمـــرها عن غد موعود فلما ادركت راءت الحياة على العكس، راءت فيها الصرامة والقيود، قالت في قصيدتها "جامعة انطلال" من ديوانها "شظايا ورماد" فتقول:

أخيرا لمست الحياة
وادركت ما هي أيُ فراغ ثقيل
أخيرا تبينتُ سرا الفقاقيع واخيبتاه
وادركت اني وضعت زمانا طويل
الُم الظلال ولا شيء غير الظلال
ومرّت عليَّ الليال
وها أنا أدرك اني لمستُ الحياة
وإن كنت أصرخ وأخيبتاه![1]

ونلاحـــظ في الديـــوان الأول لنازك "عاشقة الليل" التـــمرد الحزيـــن بإطار رومانطيكـــية المحضـــة، وهي محافظة بذلك على الشكل التقليدي من الشعر. وأما في ديوانهـــا الثاني والثالث فنجد عندها اللون السِربالي واللون الرمزي الوجودي، محطمة

---

١ نازك الملائكة: ديوان "شظايا ورماد" قصيدة جامعة الظلال، ص٩٩

بذلك الأشكال القديمة معتمدة على الشعر الحر، وأنها خاصة في ديوانها الثالث "قرارة الموجة" انتقلت من شاعرة رومانسية إلى شاعرة رمزية وانتقلت من التعبير المباشر إلى التعبير الرمزي الذي يوحي بالحالة النفسية ايحاء رمزيا.

وإن نازك بدأت نظم الشعر بالشكل التقليدي الكلاسيكي ثم تحولّت عن وعي إلى الشعر الحر، وهي توضح عن استخدامها الشعر الحر بقولها انها إذا سمعت عن وباء "الكولـــيرا" التي انتشرت في مصر فانشدت شعرها بالشكل التقليدي ولكنها أحست أن شـــعرها لم يوافق عاطفتها وحينما سمعت بأن عدد الموتى بلغ إلى الف يوميا وأنهم يحملون على عربات يجرها الحصان فتأثرت جدا وكأنها سمعت صوت أخفار الحصان وتأثرت بمشئ الخبب فانشدت في تفعيلة "فاعلن فاعلن فاعلن" فتقول:

سكن الليل
اصغ إلى وقع صدى الأنّات
في عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأموات
صرخات تعلو، تضطرب
حزن يتدفق، يلتهب
يتعثر فيه صدى الآهات
في كل قؤادٍ غليان
في الكوخ الساكن أحزان
في كل مكان روح تصرخ في الظلمات
في كل مكان يبكي صوت
هذا ما قد مزقه الموت
الموت الموت الموت ... الخ [٢]

---

٢ نازك الملائكة: ديوان "شظايا ورماد" قصيدة الكوليرا، ص١٣٦-١٣٧

كانت شاعرتنا نازك شاعرة بالمعنى الحقيقي للكلمة فتشعر بكل ما كان يجرى في بيئتها من الآلام والأحزان والنكبات الإجتماعية فاعربت عن كلها بلهجات شعرية متشـــائمة كمـــا ذكـــرتها آنفا. ولذا فانها لم تستطع التوصل إلى الهدوء والطمانينة والسكينة والإقتناع عن طريق النظر في حياة عباد الله المخلصين، لتمتعت بها حتما.

نـــازك الملائكة تحب الليل لأن الليل يكون مخيفا ومظلما. ومن المفهوم أن كل مـــا يوجـــد في الليل ليس إلا الحزن والكآبة والآلام، ولكن ليس من اللازم في كل الاحيان ان يكون الليل يحمل في حضنه المظاهر الكئيبة للحياة.

هـــي تحب الليل لأن الليل يطوى جميع الأحزان والآلام في قلبه. وتعتبر نازك الملائكة الليل معزيها في وحدتها وكأبتها في همومها وأحزانها.

فتقول:

كنت وحدي لم يكن يتبع خطوي غير ظلي

انا وحدي انا والليل الشتائ وظلي[٣]

هـــي تحب الظلام وتحب السكون. لأن في الظلام توجد الأسرار التي لا تزال خافـــية وهـــذه الظلمات لا تكـــشف أبدا عن هذه الأسرار والرموز. كذلك هي تقول:

احـــب الظلام ولكنني اثور على كل احلامكم

احب الحياة على انني احقر موكب ايامكم[٤]

* * *

٣ د. فرحانة صديقي: مساهمة المرأة في الأدب العربي، ص١٩٩

٤ موسى سليمان: خواطر في الأدب، ص٧٥

اوزان التشكيلات:

اولاً علينا أن نوضح للقراء والدارسين معنى التشكيلة .

فمعناها الصور الفرعية التي يتناولها العروضيون باعتبارها أنواعا من الأعاريض والضروب وهي صور يعرفها كل من له إلمام تام بعلم العروض فتسمى هذه الصور- "بالتشكيلة" على سبيل المثال، البحر الكامل في صورته الأساسية يجرى هكذا، (متفاعلن - متفاعلن) فيمكن لنا أن نقول (متفاعلن- متفاعلن- متفاعلن) تشكيلة واحدة . فنفس القانون البحور يجوز لنظم الشعر الحر يطبق على التشكيلات أيضا. أى لا يكمن أن تجتمع تشكيلتان في قصيدة واحدة ، وإنما ينبغى أن تستقل كل قصيدة بتشكيلة ما.[٥]

أن نازك الملائكة التى وضعتها لنظم الشعر الحر غير خارجة عن العروض- الخليلي التقليدي، بل جاء ت حركة الشعر الحر بأسلوب جديد و لو بحذف و إضافة خفيفة في التفعيلات الخليلية وهو خارج على الأسلوب الشائع لدى الجمهور. كما ذكرت نازك فى كتابها الشهير "قضايا الشعر المعاصر" كما كان اعتماد الخليل، في خبطه للبحور والسقطات فى زمانه على حسه الشعري، و ذوقه و ما يحفظ من الشعر العربي. وهذا يفيد أن حركة الشعر الحر لم تكن قد تمكنت آنذاك فى نفوس الشعراء الشباب في ذلك الوقت.

و في الوقت الذي حاولت فيه "نازك" الدفاع عن قضية الشعر الحر و تبررها من عدة جوانب قد إعترفت بنفسها أن نظم الشعر الحر ليس امراً يسيرا و سهلا، بحيث يمكن لجميع أن يقدم نمازج رائعة من هذا النوع من الشعر، وإنما توجد هناك مزالق وثغرات كثيرة قد يقع فيها الشاعر من حين لآخر ، الأمر الذي يعطي انطباعا خاطئا في ذهن القاري عن تجربة الشعر الحر بما يدفع به إلى إصدار قرار عام يكون هذه التجربة ناقصة سقيمة تنزع عن الشعر كل مزاياه وفي هذا السياق أشارت "نازك" إلى الأخطاء التي يقع فيها الشاعر في معرض هذه التجربة الجديدة، وكما ذكرت "نازك" نفسها في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" فإن الشعر الحر يتصف بمزايا وصفتها بأنها مضللة خاصة لشاعر غير ناضج و مؤدية به إلى مزالق خطرة و أن أقل تهاون من جانب الشاعر بخصوص تلك المزايا يدفع القصيدة إلى الابتذال

٥ـ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية'

والعامية.[٦]

فإن التدفق الناتج عن وحدة التفعيلة في أغلب الأوزان الحرة يجعل الشعر الحر خاليا من الوقفات بعكس البحور الستة عشر ذات الشطرين التى لابد فيها من وقفة عند نهاية الشطر الثاني من البيت حيث تنتهى الألفاظ و ينتهى المعنى و تقوم حدود البيت واضحة تميزه عن البيت التالي ولا نجد هذه الوقفة في أوزان الشعر الحر. وهذا من عيوب الشعر الحر حيث أنه يكون سببا في بعض الأحيان لجنوع العبارة إلى أن تكون طويلة جدا .

و نذكر هنا مثالاً من قصيدة بدر شاكر السياب :

و كأن بعض الساحرات

مدت أصابعها العجاف الشاحبات إلى السماء

تومي إلى سرب من الغربان تلويه الرياح .

في آخر الأفق المضاء

حتى تعالى ثم فاض على مراقبة الفساح.

وهكذا مثالا ثانيا من قصيدة لعبد الوهاب البياتي :

أترى الظلال الهائمات وراءه وعت الغناء

فاسترسلت في شبه حلم و استفاقت للمساء

تروي أحاديث الصبيات اللواتي كن يصطدن الرجال

بغنائهن وراء أسوار الليال-

و قد لاحظ بعض النقاد بأن المشكلة الوقفة والشاعر متى كان شاعرا لا يعذوه التعبير الجيد للوقفة. والحقيقة أن غاية الشعر أن يكون قد صدر عن تجربة عميقة و أسلوب فني رصين ليستقى من الثقافة المعمقة المنوعة الواعية، فالمشكلة في الإفتقار إلى صفاء الشاعرية و قوتها و قدرتها على الوحي والإبداع وإتساع الأفق الفكري- وهذه الميزات لا تقتصر على

٦- بدر شاكر السياب: حفار القبور'نقلا عن قضايا الشعر المعاصر' ص٤٣

الشعـراء الـمـجـددين أو شعراء التفعيلة وإنما يشاركهم فيها شعراء الشطرين أيضا و يمكن أن نذكر بهذا الصدد أسماء كثيرة .

فـالشعـر الـحـر يقتصر بالضرورة على عشرة بحور فقط من بحور الشعر العربي الستة عشـر، الأمـر الـذي يـضيـق مـجـال الإبداع أمام الشاعر، كما أن أغلب الشعر الحر يرتكز على تفعيلة واحدة، بما يكون مسئولا عن رتابة مملة لاسيما عندما يريد الشاعر أن يطيل قصيدته.[٧]

٧ـ د. فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية

المشاكل الفرعية في الشعر الحر

فالآن نحن نريد أن نلقى على الدارسين المشاكل الفرعية في الشعر الحر، فهنا نذكر النقاط التي وضع خليل بن احمد- فحصر الأوزان المعروفة جميعا و وضع لها مقاييس عامة شاملة سماها البحور، ثم تناول التغيرات التي تعتري تلك البحور، والتفريعات عنها، وما يعتريها من زحاف و علل واستخلص لها كلها قوانين و مقاييس ، و كانت مقايسه تلك مناسبة لزمانه كل المناسبة أساس علمي ثابت لا يعتريه النقص-

تقول نازك الملائكة "قد كان إعتمادي أنا أيضاً على حسيي الشعري و ذوقي و ما أحفظ من الشعر العربي ، والفضل فيما قد أكون وفقت إليه من قاعدة أو قانون يرجع إلى الخليل العظيم الذي رصف الطريق لكل شعر عربيّ خير رصف و أدقّة، وإبتدع العروض إبتداعاً على غير نمط سابق"- و بعد ذلك تقول: "فإن لي ملاحظات حول طائفة من التفاصيل المتعلقة بالشعر الحر، وهي ملاحظات نضجت في النفسي عبر سنين كثيرة كنت خلالها أتابع ما تنشره المجلات الأدبية والصحف اليومية من هذا الشعر ، و تذكر أربع قضايا :

١- الوتد المجموع ٢- الزحاف

٣- التدوير ٤- التشكيلات الخماسية التساعية

و بعد ذلك تشير الإصطلاحات التي وضع الخليل بن أحمد (الوتد)، (الزحاف) ، (التدوير) ولا تحتاج إلى تغييرها في عروض الشعر الحر-[٨]

٨-نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص٩٥-٩٦

نهاية السلم

مرت أيامٌ منطفئات

لم نلتقِ ليجمعنا حتى طيفُ سراب

وأنا وحدي، أقتاتُ بوقع خطي الظلمات

خلف زجاح النافذةِ الفظة، خلف الباب

وأنا وحدي ...

مرت أيام

باردة تزحف ساحبةً ضجري المرتاب

وأنا أصفي واعد دقائقها القلقات

هل مربنا زمن؟ أم خضنا اللا زمنا؟

مرت أيام

أيام تثقلها أشواقي أين أنا؟

ما زلت أحدق في السلم

والسلم يبدأ لكن أين نهايتهُ؟

يبدأ في قلبي حيث التيهُ وظلمتُهُ

يبدأ أين البابُ المبهم؟

باب السُلّمْ؟

* * *

مرت أيام

لم نلتقِ، انت هناك وراء مدى الأحلام

في افقٍ حف به المجهول

وأنا أمشي، وأرى، وأنام

استنفدُ أيامي واجرُّ غدي المعسول

فيفرُّ إلى لماضي المفقود

أيامي تاكلهُا الآهات متى ستعود؟

مرت أيامُ لم تتذكر أن هناك

في زاوية من قلبك حبا مهجورا

عضّت في قدميه الأشواك

حبا يتضرعُ مذعورا

هبه النورا

* * *

عُد بعضَ لقاء

يمنحنا أجنحةً نجتاز الليل بها

فهناك فضاء

خلف الغابات الملتفّات، هناك بحور

لا حدّ لها ترغي وتمور

امواجٌ من زبد الأحلام تقلّبها

أيد من نور

* * *

عد، أم سيموت،

صوتي في سمعك خلف المنعرج الممقوت

وأظلُّ أنا شاردة في قلب النسيان

لا شيء سوى الصمتِ الممدود

فوق الأحزان

لا شيء سوى رجعِ نعسان

يهمِسُ في سمعي ليس يعود

لا ليس يعود[٩]

الكوليرا

أضع إلى وقع مدى الأنات

في عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأموات

صرخات تعلو، تضطرب

حزن يتدفق، يلتهبُ

يتعثر فيه صدى الآهات

في كل فؤادٍ غليانُ

في الكوخ الساكن أحزانُ

في كل مكانٍ يبكي صوت

هذا ما قد مرقه الموت

الموت الموت الموت

يا حزن النيل الصارخِ مما فعل الموت

---

٩ نازك الملائكة: ديوان "شظايا ورماد" قصيدتها "نهاية السلم"، ص١٠٨-١١١

طلع الفجر

أصغ إلى وقع خطى الماشين

في صمت الفجر، أصخ، لليا كينا

عشرةُ أمواتٍ، عشرونا

لا تحص أضخ للباكينا

إسمع صوت الطفل المسكين

موتى، موتى، ضاع العدد

موتى، موتى، لم يبق غدُ

في كل مكانٍ جسد يندبه محزون

لا لحظة اخلاد لا صمت

هذا ما فعلت كفُّ الموت

الموت الموت الموت

تشكو البشريّة تشكو ما ير تكبُ الموت

الكوليرا

في كهف الرعب مع الأشلاء

في صمت الأبد القاسي حيثُ الموت دواء

استيقظ داءُ الكوليرا

حقداً يتدفق موتورا

هبط الوادي المرح الوضّاء

يصرخُ مضطربا مجنونا

لا يسمع صوت الباكينا

في كل مكان خلف مخلبه أصداء

في كوخ الفلاحة في البيت

لا شيء سوى صرخاتُ الموت

في شخص الكوليرا القاسي ينتقم الموت

الصمتُ مرير

لا شيء سوى رجع التكبير

حتى حفار القبر ثوى لم يبق نصير

الجامع مات مؤذّنُهُ

أليتُ من سيئوبّنُهُ

لم يبق سوى نوحٍ وزفير

الطفل بلا أم وأب

يبكي من قلبٍ ملتهب

وغدا لا شكَّ سيلقفُهُ الداءُ الشرير

يا شبح الهيضة ما أبقيت

لا شيء سوى أحزانِ الموت

الموت الموت الموت

يا مصرُ شعوري مزَّقَهُ ما فعلَ الموت[١٠]

---

١ ديوان نازك الملائكة: "شظايا ورماد" قصيدتها "الكوليرا"، ص١٣٦

إلى العام الجديد

يا عام لا تقرب مساكننا فنحن هنا طيوف

من عام الأشباح، ينكرنا البشر

ويفر منا الليل والماضي ويجهلنا القدر

ونعيش أشباحا تطوف

نحن الذين نسير لا ذكرى لنا

لا حلم، لا أشواق تشرق، لا منى

آفاق اعيننا رماد

تلك البحيرات الرواكد في الوجوه الصامته

ولنا الجباه الساكته

لا نبض فيها لا اتقاد

نحن العراة من الشعور، ذو والشفاه الباهته

الهاربون من الزمان إلى العدم

الجاهلون أسى الندم

نحن الذين نعيش في ترف القصور

ونظل ينقصنا الشعور

لا ذكريات،

نحيا ولا تدري الحياة،

نحيا ولا نشكو، ونجهل ما البكاء

ما الموت، ما الميلاد، ما معنى السماء.

* * *

يا عامُ سر، هو ذا الطرق

يلوي خطاكَ، سدي نؤمل أن تفيق

نحن الذين لهم عروق من قصب

بيضاء أو خضراء نحن بلا شعور

الحزن نجهله ونجهل ما الغضب

ما قولهم إن الضمائر قد تثور

ونود لو متنا فترفضنا القبور

ونوه لو عرف الزمان

يوما إلينا دربه كالآخرين

لو اننا كنا نؤرخ بالسنين،

لو اننا كنا نقيد بالمكان

لو أن ابواب القصور الشاهقات

كانت تجيءُ قلوبنا ليسوى الهواء،

لو اننا كنا نسير مع الحياة

نمشي، نحس، ترى، ننام،

وينالنا ثلج الشتاء

ويلف جبهتنا الظلام

أواه لو كنا نحسّ كما يحس الآخرون

وتنالنا الأسقام أحيانا وينهشنا الألم

لو أن ذكرى أو رجاء أو تدم

يوما تسدُّ على بلادتنا السبيل

لوا ننا نخشى الجنون

ويثير وحشتنا السكون

لو أن راحتنا يعكرّها رحيل

أو صدمة أو حزن حب مستحيل.

أواه لو كنا نموت كما يموت الآخرون[11]

١٩٥٠/١/١

مرثية إمراة لا قيمة لها

هبت و لم يشحب لها خدٌ و لم ترجف شفاهُ

لم تسمع الأبوابُ قصة موتها تروى وتروى

لم ترتفع أستار نافذةٍ تسيل أسى وشجوا

لتتابع التابوت بالتحديقِ حتى لا تراه

إلا بقية هيكل في الدربِ ترعشه الذكر

نبأ تعثر في الدروب فلم يجد مأوي صداه

فأوي إلى النسيان في بعض الحُفر

يرثي كابته القمر.

* * *

والليل أسلم نفسه دون اهتمام، للصباح

وأتي الضياء بصوت بائعة الحليب وبالصيام،

بمواء قطّ جائع لم تبق منه سوى عظام،

مشا جرات البائعين، وباطرارة والكفاح،

---

١١ ديوان نازك الملائكة: قراة الموجة، قصيدة "إلى العالم الجديد"، ص٢٥١-٢٥٤

بتراشق الصبيان بالأحجار في عرضِ الطريق،

بمسارب الماء الملوّث في الأزقة، بالرياح،

تلهو بأبواب السطوح بلا رفيق

في شبهِ نسيان عميق.[١٢]

١٢ديوان نازك الملائكة: "قرارة الموجة" وقصيدتها "مرثية إمراءة لا قيمة لها"، ص٢٦٥-٢٧٦

الفصل الثاني

مختارات من قصائد نازك الملائكة:

اعـــبر عمـــا تحـــس حـــياتي

وارسم إحساس روحي الغريب

فـــابكي إذا صـــد متني السنين

بخـــنجرها الأبـــدي الرهيـــب

واضـــحك ممـــا قضاه الزمان

عـــلى الهيكل الآدمي العجيب

واغضـــب حين يداس الشعور

ويُسخر من فوران اللهيب

نازك

أشواق وأحزان

اين منّى حرارة الأمسِ والحا

ضرُ يمشي بين الأسى والخمورِ؟

أسفا للماضي الإلهيَّ هل ما

تت أغانيه في فؤادي الوحيد؟

آه يا شاعري لماذا تهاويـــ

تَـــ بعيدا وراء أمسي البعيد؟

وأنا لم أزل صلاةً لعينيـــ

كـَ وإعصارُ لهفةٍ وشرود

* * *

آه هل غابَ عن ظلام حياتي

كل ما كان لهفة وفتونا؟

كيف ضاعَ الحبُّ الإلهيُّ يا طا

ئري الحرَّ فانفجرت ظنونا؟

وأنا لم أزل فؤاداً على الشو

قِ يداري غرامَهُ المدفونا

ليتني كنت بُحتُ يا حُلُمَ الرو

حِ وأعلنتُ حبِّي المكنونا

* * *

كيف مرّت أيّامُنا كيف مرّت

بين فكَّ الأشواقِ والأحزان؟

ملء قلبي وقلبك الحبُّ الشو

قُ ولكن نلوذ بـــالكتمان

كلّما حدّثتك عيناي بالحبَّ

أعـــاقب عيني بـــالحرمانِ

كلّما يا شاعري كتمنا و لم لعـــ

ـــصِ كيوبيد قبلَنا عاشقانِ؟

* * *

كيف ضاعت عواطفي؟ كيف أنسو

كَ غـــرامي وحـــيرتي ووفألي؟

ملأوا قـــلبَكَ الـــنبيلَ وأبـــاطيـــ

ـــلَ وصاغوا كـــواذبَ الأنباء

وقضيت الأيـــام أزرف إحـــسا

سي دموعاً وأستـــلذُّ شقـــائي

لا لقاءٌ غـــير الظنـــون ولا فر

حةُ غـــير الخيـــالِ والأصـــداءِ

* * *

انت انت الذي احتفظت بذكرا

هُ فلم ينسهَا فؤادي الوفي

كيف غابت عن ذكريا تك أحلا

مي وشوقي وحبي الروحيُّ

شهد العودُ كيف علمتُهُ حـــبَّ

ـــك مثلي فهو المحبُّ الشقيُّ

شهـــد المعبـــدُ الكئيبُ لـــحبي

أنَّ حُـــبَّي مخـــلَّـــدٌ أبـــديُّ

* * *

يا نشيدي متى ستاتيك ألحا

ني فتصغي إلى هُتافات حبّي؟

فيم أقضي الأيامُ اكتم أشوا

قي وقد ضاق بالعواطفِ قلبي؟

أبداً نلتقي فأعرضُ حيري

ولقلبي الكئيب أشواقُ صب

انها الكبرياء تمتلك الرو

حَ فييد والمحبُّ غـــير محبَّ

* * *

ضاع عمري الحزينُ في معبد الحز

نِ وأذوتــهُ لهــفتي وشكــاتي

لم يــزل حبي العــميقُ عــميقاً

لم تــزدهُ السنينُ غــيرَ ثبــاتِ

لم أزل تضــحَكَ النجومُ وتبكي

وتغني عــلى صــدى آهــاتي

لم أزل في الحــياةِ ورقاءَك الحيــ

ــري وما زلتَ أنت حلم حياتي[١٣]

* * *

ذكرى مولدي

جئتِ يا ذكريات شاحبة الوجــ

ه حيارى في موكب الأيامِ

جئتني والشباب باك بعيني

وحولي جنازة الأحلام

---

١٣ ديوان نازك الملائكة: "عاشقة الليل" قصيدتها "اشواق واحزان"، ص٥٦٣

رغباتي دفنتها في ثرى الما

ضي وقلبي ما عاد غير حطام

ودموعي رمز لما لقيته الر

وح في غيهب الوجود الدامي

* * *

جئت يا ذكريات ما افظع الذكـــ

ري وما أروع الرجاء الفقيدا

ليث قلبي قد كان صخرا أصمّا

كل يوم يبني رجاء جديدا

ليته كان جامد الحس كالطيـــ

ـــن يعيش الحياة جذلا سعيدا

ليته لـــم يكن ويا ليتني أعـــ

ـــتاض عنه حجارة أو حديدا

* * *

والتقينا مع الصباح فياخيـــ

بة نفسي أيُّ التقاءِ مرير

وجهُك الشاحبُ المروَّعُ يبكيـــ

ني ويُحي ذكرى صباي الغرير

وبعينك قطرة من دموعي

وعلى فيك آهة من زفيري

أسفا قد حفظت أحزان قلبي

وتجاهلت نشوتي وحُبُوري

* * *

شهدا لفجر كيف يا ذكرياتي

كان هذا اللقاءُ أشجَى لقاءِ

عانقتني أشباحك الباكيات الـــ

ـخرسُ باليأسِ والشِّجا والبكاء

ووقفنا تحت الصباح تمانيـــ

ـل حيارَى كأنفسِ الشعراء

وانحفت فوقنا الشجيراتُ حزنا

تتباكي بأد مـــع خـــرساءِ

* * *

أسفا ضاعتِ الطفولة في الما

ضي وغابت أفراحها عن جفوني

أم ترى قد نسيتني ونسيت الأ

مس في فرحة الشباب الرغيد؟

أبداً لستُ أنسى وإن لنـــ

ـتِ تهاوَيت في الزَّمان البعيدِ

* * *

أترى أبصرت عيونكِ في الأر

ضِ كما أبصرت عيوني شقاها؟

أرايتِ الأحزانِ في كل قلب

ورأيتِ النفوس في بلواها؟

أسمعتِ الصُراخَ يرسلُهُ الأحـــ

ياءُ والأرض أغرقتها دماها؟

حدّثيني صديقةَ الأمسِ هاتي

عن لياليكِ بشرها وأساها

* * *

ربما كنتِ يا رفيقة مثلي

رور قافي البحار عاد حُطاما

الرفيقات غبنَ عنكِ وآثـــ

ـــرنَ عليكِ الشرور والأثاما

فكتمتِ الشعورَ في قلبكِ الصا

في وصُنتِ الأحزانَ والآلاما

وقضيتِ الحياة في الوحدةِ الخر

ساءٍ تستلهمينها الأحلاما؟

* * *

أنصتي من مكانكِ الغامضِ المجـــ

ـــهولِ أصغي إلى نشيدي الصافي

أو تدرين ما الـــذي صنـــعته

سنواتُ العمرِ الرهيبِ الخافي؟

إنه يومُ مولدي، يومُ أحزا

ني وذكري الرسو عند الضفافِ

حينما أوقفت سفينتي الأقـــ

ـــدارُ بين الأمواجِ، تحت السَّواقي

* * *

إنِّه يومُ مولدي أين أفرا

حُ شبابي أعيدُها للسَّيننا

كيف مر العامُ الحزينُ بقلبي الـــ

ـــجهم؟ أين الثلاثُ والعشرونا؟

كيف مرت هذى السنينُ و لم أد

رِ؟ ومالي ذوّبتُ عمري أنينا؟

لم أنَل من ظلامه المرّ إلاَّ

أملاً ذاهبا وروحاً حزينا

إنه يوم مولدي ولقد مرَّ

بعمري الداجي كظلٍّ شقيَّ

عشتُهُ في قصائدي ودموعي

بين جدران معبدي الشاعريَّ

لا فؤادٌ معي يشار كني حز

ني ويبكي على شبابي الدجيَّ

لا رفيقٌ في غربتي ووجومي

غير قلبي الشجي ودمعي النقيَّ[١٤]

* * *

١٤ ديوان نازك الملائكة: عاشقة الليل، قصيدة "ذكرى مولدي" ص٤٧٧

أغنية للحياة

إذا سألوا في غدٍ عن هوانا

ونحن تراب مع الذكريات

وراح يجيبُهُم العـــابرون

بأنّا مـــررنا بهـــذي الحياة

وذقنا الهوى والمنى والعذاب

كأسلافنا ثم عدنا رُفات

وعفت على أثرينا الرياح

وعدنا ضبابا تلاشى ومات

* * *

وقال لهم قائل: إنَّنا

شربنا الأسى في ثنايا الكؤوس

وإنّ ابتساما تنا كن لونا

يغلّفُ شيئاً طوته النفوس

وإن دفعنا أنا شيدنا

وأحلامنا للرَّجاءِ العبوس

وكنا كمن قبلنا غُرباء

على الأرضِ ثم طوتنا الرموس

* * *

فمن سوف يخبرهـــم أنّنا

شربنا العذوبة حتى سكرنا

وأنّا ملكنا ضـــياءَ النـــجوم

ودجلةَ والفجر فيما ملكنا

وكانت لنا من خدودِ النسيم

وســـائدُ تسندنا إن كللنا

وأنّا تـــركنا حـــكاياتـــنا

وأخـــبارنـــا للـــرياح ونمنا

* * *

وأنا عرفنا الحياة ارتعاشا

ونبـــضا وأغنية خـــالدَه

عرفنا الغرام الرقيق الجبين

وذقـــنا لياليهُ الساهـــده

وكم مرة قد ضممنا السعاد

ةَ في هذهِ الأذرُعِ الهـــامدَه

وذُقنا حنينَ الجمالِ اللذيذ

وملح مـــدا معنا البـــاردة

* * *

فكانت لنا قطراتُ الندى

ومنـــزلقُ الضوءِ كل صباح

وكان النسيمُ شفاهاً تمر

تـــقبّلُ ما جرحتهُ الـــرياح

وكنا نحب الشذى والنخيل

وآفاقنا والسُهــولَ الفــِساح

وإن جرحتنا أكفّ الحياة

سكينا الرضى في شفاه الجراح

* * *

وكان الوجودُ سخِيَّ اليَدَين

فأعطى هوانا ضياءَ القمر

ولفَّ خيالاتنا بالعبير

ومدَّ علينا ظلالَ الشجر

وروّى صدانا بخمر الكروم

وطهر افكارنا بالمطر

وتوجّنا بغصون البنفســـ

ـــج والزنبقِ المخملي العطر

* * *

وكنّا لـــه بأنا شيـــدنا

وأشو اقنا المرحات الوِضاء

ومن أجله قد هوينا الحياة

ومن أجله قد عشقنا الفناء

وها نحنُ بين ذراعي ثراهُ

نشيدَينِ لا يعرفان انتهاء

يعشّشُ في تربتينا الجمالُ

فيا جهل من ظنّنا أشقياء[١٥]

* * *

أغنية لطفلي

ماما ماما ماما ماما ماماما

برّاقُ الحلوُ اللثغةِ ينوي النوما

والقومُ وراء الربوة هيا حُلما

والحُلمُ له أجنحة ترقي النجما

والنجمُ له شفة ويحب اللثما

ماما ماما

بابا بابا بابا بابا بابابا

براق الغافي الساهي يسرق فلبا

والقلبُ سيمرع ينبت وردا رطبا

والورد يرُشّ المهد أريجا عذبا

وأريجُ الوردِ لعوبٌ يهوى الوثبا

والوثب سيوقظ طفلي:

بابا بابا

* * *

١٥ ديوان نازك: شجرة القمر، قصيدتها "أغنية للحياة"

دادا دادا دادا دادا دادادا

الحقلُ مشوقٌ للخضرة لا يهدا

والخضرةُ خاويةٌ لا تملكُ وردا

والوردُ إلى الحمرةِ مرتعش وجدا

والحمرةُ عند صغيري ثغرا خدّا

وسيُصحي الوردُ صغيري:[١٦]

آدم وحواء

حسبُها أننا دفعنا إليها

ثمنَ العيشِ حيرةَ ودموعا

أيُّ ذنبٍ جناه آدم حتى

نتلقى العقابِ نحنُ جميعا؟

وليكن آدمٌ جنى حسبه فقـــ

ـــدانُ فردوسه الجميل عقابا

حسبُهُ يا حياةُ أن هبط الأر

ضَ ليحيا ويجرع الأوصابا

حسبُهُ أنه أتى الأرض مطرو

داً من الخلدِ مسطاراً حزينا

---

١٦ ديوان نازك: "شجرة القمر"، قصيدتها "أغنية لطفلي"، ص٥٥٦-٥٥٧

حسبهُ مار أي من الشرّ والإثـــ

ـــم وما ذاق من عذاب السنينا

ليت شعري ماذا يروق لعنيـــ

ـــهِ على الأرضِ بعد سحر السماءِ

كيف ينسَ جمالَ فردوسه المفـــ

ـــقود في عالمٍ دجيّ الفضاء

كيف ينسى الأمس الجميل ليهنا

بحياةٍ موسومةٍ بالشقاءِ؟

ليس يحيا فيها سوى الآثم الجبّـــ

ـــارِ يا رحمتاهُ للضعفاءِ[١٧]

القصر والكوخ

كل فجر أرى الرعاة يمرّو

نِ فأبكي على حياة الرُّعاةِ

في ثلوجِ الجبال أو لهب الشمـــ

ـــسِ يريقون مبهجات الحياةِ

ويمر القطيعُ بي فأرى الآغـــ

ـــنامِ بين الذباح والسكّينِ

---

١٧ ديوان نازك الملائكة: "مأساة الحياة" وقصيدتها " آدم

يا حياة الإنسان لا فرحة فيـــ

ـــكِ إذا لم تُصحب بدمع غبينِ

فكنوز الغني يجمعها الفلا

حُ في عـــمره الشـــقي المـــرير

ذلك الكادح المعذبُ في القر

يةِ بين المـــحراثِ والنـــاعورِ

كُلٌّ صيفٍ ليسقي البساتين تحت الشـــ

مسِ والقصُر هاجع وسنانُ

فهو يُلقى البذور والمترفُ الها

نئُ يجني وتشهدُ الأحزانُ

يا ليالي الحصادِ ماذا وراءِ الـــ

حقلِ والحاصدين من مأساةِ

شهد الكوخُ أنه يحمل الحز

ن لتحظى القصورُ بالخيراتِ

كيف يجني الأزهار والقمح والأثـــ

مارَ من لم يجرح يديه القدوم

ويموتُ الفلاح جوعاً ليفتر

لعيني ربَّ القصورِ النعيمُ؟

كيف هذا يا رب؟ رفقا بنا رفـــ

قاً فقد غصَّتِ الكؤوسُ دموعا

وطغت في الفضاء آهاتُنا الحيـــ

ـــرى تغني رجاءنا المصروعا[١٨]

أنشودة الأموات

لحظةُ الموت لحظةٌ ليس من رهـــ

بتها في وجودنا المرَّ حامي

وسيأتي اليومُ الذي نحن فيه

ذكرياتٌ في خاطر الأيّام

كلُّ رسمٍ قد غيرته الليالي

كل قلبٍ قد عاد صخراً أصما

دفنت عمرنا السنينُ كان لم

نملأ الأرض بالأناشيد يوما

ليس الاصواتُ العواصف فوق الـــ

مدفنِ الصامتِ الرهيب المرير

وحفيفُ النخيل في رعشةِ الـــر

يح ونوح الأمواج بين الصخور

قد سمعنا صوت الرياح المدوَّي

حين كان الوجود ملك يدينا

---

١٨ ديوان نازك الملائكة: "مأساة الحياة" وقصيدتها "القصر والكوخ"، ص١٥٨-١٥٩

وعشقنا صوت النخيل وهمنا

بخرير الأمواجِ قلبا وعينا

وعبدنا أشعةَ القمر الضا

حكِ في الصيف وابتسمنا إليهِ

وشدونا الأنغام تحتَ سناهُ

ورسمنا الأحلام بين يديهِ

وضحكنا مع الزمان وسرنا

في ظلامِ الحياة مبتسمينا

تارةً ساخرين من كل ما نلـــ

ـــقى وأخرى تحت الدُجى باكينا

وبينا قصورنا ضوء الشـــ

ـــمسِ يوماً إلى جوارِ القبورِ

وزعنا زهورنا وتخذنا

من دماء الموتى غذاءَ الزهور

وضحكنا إذا الطبيعة تبكي

بالدُجى والرياح والأمطارِ

وسخرنا والدهرُ غضبانُ جهمٌ

ورقصنا على حفاف النارِ

فإذا غنّتِ العاصافيرُ وافترَّ

ت تغورُ الأزهارِ فوق ترانا

وتمشي الأحياء فوق بقايا

نا وداسُوا عظامنا ودمانا

فهو ثارُ الطبيعة البارد المر

و سخريةُ الزمانِ العالي

وحقودُ الحياةِ لا بدّ للميـــ

ـــتِ منها في عالم الأمواتِ

يا جموعَ الأحياء في الأرض هيها

ت يعودُ الماضي الجميلُ إليكم

فاغنموا ليلكم وغنُّوا فمن يد

ري؟ لعلَّ الصباحَ يقضي عليكم

علّها الليلةُ الأخيرة من عمـــ

ـــركم في الوجود يا أحياءُ

ليس منكم من يضمنُ الغد فاشدوا

فقريبا يضيعُ هـــذا المساءُ

ربما كنتُم مساءَ غدٍ تحـــ

ت ترابِ القبورِ والأحجارِ

يتباكي عليكُم البومُ والغر

بانُ بعد الكؤوسِ والأوتار

وتعودُ القصورُ والزهر مِلكًا

لسواكم من ضاحكي الأحياء

ويظِلُّ القمريُّ يشدو وانتم

في سكـــون المنـــية الخـــرســـاءِ

وتعود الحقولُ في الفجر خلواً

من أغـــانيكُم ووقـــعِ خـــطاكم

ويذيبُ النسيانُ ذكر أمانيـــ

ـــكم ويذوي الممات غصن صباكم

ويظل الراعي يغردُ للأشـــ

ـــجارِ والنبع في صفاء المغاني

وتنامونَ انتم لا حراكٌ

لا نشيدٌ في قبضة الأكفان

لن تنوح الحياةُ إن متم أنـــ

ـــتم فغنّوا ولا تنوحوا عليها

فهي تلك الخلوبُ تبسمُ للأحـــ

ـــياءِ والسمُّ كامن في يدَيها

فانعموا في ظلال أفر احكم فيـــ

ـــها وروُّوا الظماء قبل الممات

وامرحوا في الحقولِ واستنشقوا العط

ـــرو صوغوا فواتن النغمات

ودعوا هذه الشوارع عند النـــ

ـــهريا أشقياء قبل الرحيل

ودعوها فليس في القبر غيرُ الصـــ

ـــمتِ والهمِّ والظلامِ الطويل

وابسموا للنجومِ والقمر الحد

و وغنّوا النسيم كل مساءِ

أيُّ غبنٍ أن تفقدوا كل شيء

في البلى والسكونِ والظلماء[١٩]

مأساة الأطفال

ودموع الأطفال تجرحُ لكن

ليس منها بدٌ فيا للشقاءِ

هؤلاء الذين قد منعوا الحس

وما يملكون غيرَ البُكاءِ

منحتهم كفُّ الطبيعة قلبا

بشـــريا يستشعرُ الآلامـــا

١٩ ديوان نازك الملائكة: "مأساة الحياة" وقصيدتها "أنشودة الأموات" ص١٨٨-١٩٤

ورمتهم في كفة القدر الغا

شمِ جسما لا يستطيع كلاما

فإذا ما بكوا فأدمع خرس

ربما كان خلفها ألف معنى

ربما كان خلفها الألم القا

تلُ أو رغبة مع الريح تفنى

ربما ربما رما ينفع الظن

ونوحُ الأطفال ملء الحياة

ولدوا صارخين بين يد الأقـــ

ـــدار فليصرخوا ليوم الممات

علهم يدركون ما لم نقف نحـــ

ـــن عليه من ظلمة الأسرار

ويرون الحياة ليلا من الشر

تدلّى على حفاف النار

فهم يصرخون من ألم المقـــ

ـــبل أو يندبون ما قد أضاعوا

أو لم يقبلوا على غيهب العا

لم حيث المحيا أسى وصراعُ

لم يزل في نفوسهم أثر الما

ضي النقيَّ الجميل أو ذكراه

حين كانوا في عالم عبقريٍ

كلُّ حيّ على ثراه إلهُ

عالمٌ غيرُ عالم البشر المر

بعيد عن الدُجى والفناء

ليس فيه أسىً عنيف ودمعٌ

وقبورٌ تلفّعت بالخفاءِ

ليس فيه طبيعة جهمة المر

أى تدوسُ الاحياء والاياما

ليس فيه معذبون حيارى

وتكالي تحت الدجى ويتامى

ليس فيه شر وظلم وتعذيـ

ـــب ولا فيه مولد ومماتُ

ليس فيه هذا النـــزاع على الخبـ

ز ولا في صقائه مأساةُ

يا جموع الأطفال يا مرهفي الحس

كـــفاكـــم تفجعا وبـــكاء

لم تزالوا في أولِ العمر المرِّ

ولأيا ستـــعرفون الشقـــاء

لا تنوحوا على الذي قد فقدتم

من جمال ومتعة وسموِّ

وأصيخوا لمأتم القدر الظا

لم في عاصفِ الحياة المدويّ

لم تزالوا يراعما لم تفتحـــ

ـــها الليالي على ظلام الحياةِ

فاصحكوا الآن قبلما يزأر الهو

لُ ونستنسرُ الهموم العواتي

قبلما تدلهم اعماركم تحـــ

ـــتَ غيوم الشباب والاحلامِ

وترون الوجود قفراً فما فيـــ

ـــهِ سوى الليل والاسى والقتام

اينما ترسلوا عيونكُمُ الظمـــ

ـــأى فثمَ الاهوالُ والاضغانُ

وتضيعُ الآمالُ والمُثُلُ العا

ـــيا وتبقى الآهاتُ والاحزانُ

امر حوا الآنَ في ظلال أبٍ ليشـــ

ـــقى وأُمّ جنت عليها الحياةُ

فغدا تحملون انتم هموم الـــ

ـــعيش إذ ذاك تسفرُ الماساةُ

شيدوا في الرمالِ أيراج أحلا

مكم والبسموا للهوا لطفوله

كلُّ طفلٍ غداً فتى ضائع الأحـــ

ـــلامِ تحتَ المقادرِ المجهوله

وغدا تدركون ما ذا أضعتم

من ضفاءٍ ومُتعة ونقاءِ

وترون الحياة منبعَ شر

ليس منه منجى وليلُ شقاء

وإذا ما بنيتُم أمسِ زهرٌ

ذابلٌ تحت رحمة الإعصار

وإذا كلُّ رغبةٍ كوكب خا

بِ وأنتم على شفاهِ النار

تتشفى بكم يدُ القدر القا

سى وتُلقي عليكمو بالرزايا

وتبيع الشباب بالأدمُعِ الحر

ى وتلهو على رفات الضحايا

فإذا كل ضحكةٍ من صباكم

بعدها في شبابكم ألف عبره

وإذا عمركم مساءٌ حزين

ليس تجلو سوى المنية سرّه

يا هومَ الشباب فيمَ تكونيـــ

نَ أحرّ الهمومَ والأحزانِ؟

أنتِ يا من يصوغُكِ القدر الظا

لم ليلا على الوجودِ الفاني[٢٠]

آدم وفردوسه

حسبُها أننا دفعنا إليها

ثمن العيشِ حيرةً ودموعا

أي ذنب جناه آدمُ حتى

نتلقى العقاب نحن جميعا؟

وليكن آدم جنى حسبُهُ فق

ـــدانُ فردوسهِ الجميل عقابا

---

٢٠ ديوان نازك الملائكة"مأساة الحياة" وقصيدتها "مأساة الأطفال"، ص٢٠١-٢٠٨

أو لم يكف أنهُ هبط الأر

ضَ ليُسقى آلامها اكوابا؟

أو لم يكف أنه هبط الدُنـــ

يا طريداً من خلده الفينانِ

أو لم يكف أنّه عرف الشر

وقد كان طاهرا في الجنانِ؟

ليت شعري ماذا يروقُ لعينيـــ

يه هنا في انغلاقِ هدا الوجود؟

كيف ينسى آفاقَ جنّتِه ما

ذا يعذي حنينه للخلود؟

كيف ينسى الأمسَ الطليق ليهنا

بحياةِ القيودِ والأرسانِ؟

أين ذاك الحسُّ الرهيفُ؟ هنا سجـــ

ن بليد مغلّفُ الجدرانِ

ولما ذا ينسى وهل في الثرى شيء

يعزّي عن حُلمِهِ المعسول؟

كلما لاذ بالخيالِ تجلى

لأساهُ ما كان من قابيلِ

أو لم تسمعِ الحقولُ صدى صر

خةِ هابيل حين خرَّ قتيلا؟

أو لم ليشهدِ القطيع على الجا

ني ألم يبصر الدَمَ المطلولا؟

اين هابيلُ؟ أين وقع خطى أغـــ

نامه في الحقولِ والوديانِ؟

ليس منه إلا ضريح كئيب

شادهُ في العراءِ أوّل جانِ

وأتت ظلمة المساءِ على الحقـــ

لِ وعادا القطيعُ من دون راعِ

ليس إلا قابيلُ يمشي رهيب الـــ

خطوِ نهب الأفكار والأوجاعِ

يا لأحزان آدمٍ عندما أبـــ

صر بأبنيهِ قاتلا وقتيلا

أيها المستطار لن تردع الأقـــ

ـــدارَ حتى إذا بكيت طويلا

ما الذي تنفحُ المدامعُ يا آ

دمُ؟ هل تدفع القضاءَ المريرا؟

إن يكن من فقدت اول مقتو

لٍ على الأرض فهو ليس الأخيرا

أنها لـــعنة تظلُّ عـــلى العا

لَمِ مسدولة الدجى مكفهرّة

كلّما ذاق قطرةً من نعيم

أعقبتها من الأسى ألف قطره

كلّما أسدل الستار على حر

بِ أطلّت حرب وجاءت رزايا

رحمةً يا حياةُ حسبُكِ ما سا

ل على الأرضِ من دماءِ الضحايا[٢١]

بين القصور

سرتُ وحدي بين القصور طويلاً

أسالُ العابرين أين السعيدُ؟

فإذا بهجة القصور ستار

يختفي خلفه الظلامُ المديد

إن فيها أغانيا ذابلات

وصلاةً حزينة النبراتِ

---

٢١ ديوان نازك الملائكة "أغنية للإنسان" قصيدتها" آدم وفردوسه"، ص٣٧٢-٣٧٦

وعيونا مملوءة حيرة تســـ

تفهم اللُغزَ في ضباب الحياة

شبعوا وار تووا وما شبعت أر

واحهم وار توت وباتوا حيارى

ان جوع النفس المنعمة النشـــ

وي إلى حُلمها أشدُّ استعارا

ليس ينجيهموا الغنى من يد الحز

ن وإن طاولوا الذُرَى بالغرور

ولهم موتُهُم ومأساته المغـــ

لقة السرَّ مثلَ ما للفقيرِ

كم مراء القصور من أغنياتٍ

أخرستها عواصفُ المقدور

كم قلوب تودُّ أن تبدل القصـــ

ـــر بكوخٍ على ضفاف الغدير

ليس ينجي الحريرُ من عمقِ هذا الـــ

ـــلُغز لغزِ المصير لغز البـــداية

هل يبيعُ الفـــضاءُ أســـرَارَهُ بالـــ

ـــمالِ هل تشترى به اللانهاية؟

وعبرنا القصـــور لـــم نجد المنـــ

شودَ في ضوئها ولا في دُجاها

فهي خلو من المعاني وما فيـــ

ـــها ســـوى المال والحرير إلها

اقفرت من سعادةِ الروح من منـــ

ـــطلقِ الفكر في مدَى الأزمانِ

وسرى المحل في أزاهرها الظمـــ

ـــأى إلى اللون والشذى والمعاني

غرقوا في الضياء والعطر لكن

ليس فيهم قلب يحسُّ الضواء

وتمرُّ الأنهارُ في أرضهم لِســـ

قي شفاها وتتركُ الروحَ ظمأى

تلك إغفاءةُ القصور يموت الـــ

حسُّ والشعرُ في حماها الضنينِ

آه فلنمضِ باحسِن لعلَّ الـــ

ـــكونَ يُفضي بسرّه المكنونِ[٢٢]

---

٢٢ ديوان نازك الملائكة: "أغنية للإنسان" قصيدتها " بين القصور"، ص٤٠٧

خاتمة

اقـــدم في السطور التالية خلاصة البحث بالإيجاز، فبعد دراسة الأقوال والآراء التي تم بيانها في الكتب يتضح أن حركة الشعر الحر قد بدأت سنة ١٩٤٧م في العراق بل في بغداد نفسها على أيدي الشعراء الشباب ودوت أصدائها في الوطن العربي كله لمـــا نظمـــت الشـــاعرة الفائقة نازك الملائكة القصيدة التي عنوانها "الكوليرا" في عام ١٩٤٧م ونشرت هذه القصيدة في بيروت وأحدثت ضجة هائلة في الأوساط الأدبية ونالـــت قـــبولا عاما لدى الشعب العربي وتبعاً لهذا قد أصدر بدر شاكر السياب في بغـــداد ديوانه "أزهار ذابلة" وفيه قصيدة حرة الوزن من بحر الرمل، عنوانها "هل كان حـــبا" وفي آذار ١٩٥٠م صـــدر في بيروت ديوان لشاعر عراقي جديد عبد الوهاب البـــياتي تحـــت عنوان "ملائكة وشياطين" ثم صدر "أساطير" لبدر شاكر السياب في أيلـــول ١٩٥٠م ثم تتابعت الدواوين الكثيرة وهكذا بدأت حركة الشعر الحر تتوثق بنيـــتها حـــتى أخذ الشعراء الجدد يتركون أسلوب الشطرين وينتخدمون الأسلوب الجديـــد وقـــد أثـــارت هذه الدواوين ضجة عنيفة في صحف العراق وأثيرت حولها مناقشات حارة في الأوساط الأدبية في داخل العراق وخارجه.

ولكـــن الشـــعراء الجدد دافعوا أنفسهم مؤكدين بأنه في بعض الأحيان تقع أحداث في الحياة، يصعب التعبير عنها بالتزام الأوزان والقوافي وهذا يخلق في القلوب الإحساس بالضيق والملل ويتمكن هذا الأسلوب الجديد للشعر من التعبير عما يوجد في أنفسهم من المشاعر والأحاسيس بطريقة أكثر سهولة ووضوحاً.

والأسـباب التي دفعت لشعراء الجدد إلى إتخاذ الطريقة الجديدة في نظم الشعر هـي تأثـرهم بالثقافات الغربية أو النظريات الحديثة في الأدب والفنون السائدة عند الغربـيين والإنكلـيز ويبدو أن نازك الملائكة تأثرت بالشاعر وردزورث تأثرا عميقاً فـأراد وردزورث أن يختار طريقة جديدة للخروج على المذهب الكلاسيكي السائد في ذلـك العصـر. وقدم أمام الناس خصائص الشعر الجديد ودعا إلى إستخدام اللغة اليومية التي يتحدث بها الناس فعلا لأنها أصدق تعبيراً وأقرب من مشاعر الناس الذين يخاطبهم الشاعر وتأثرت كذلك بالشعر الأوروبي بوجه عام والإنكليزي بوجه خاص.

بالـرغم مـن ذلك ان نازك الملائكة لم تخرج على الشعر العربي الكلاسيكي فقالـت في مقدمة ديوانها "أني أولاً أحب الشعر العربي ولا أحيق أن يبتعد عصرنا عن أوازنه العذبة الجميلة".

ثم أخذت نازك الملائكة تنظر في قضايا الشعر الحر بعمق ودقة عام ١٩٤٩م. ودعـت في مقدمة ديوانها "شظايا ورماد" إلى الشعر الحر واضعة قانونه العروضي مع إضـافة بعـض البحور من البحور الستة عشر التقليدية التي وضعها خليل بن أحمد الفراهـيدي. أمـا من حيث فنية الشعر فقد ركزت حركة "الشعر الحر" على تفعيلة واحـدة وأثبتت بأن الشعر الحر ليس جديدا وإنما هو ضارب الجذور في الموشحات الأندلسـية كما ترفض نازك الملائكة انها حركة التجديد وتؤكد أنها تعديل في نظام الشـطرين ولذلـك سميت هذه الطريقة "بأسلوب" ووصفت بأنه أسلوب في ترتيب تفاعيل الخليل، تدخل فيه بحور عديدة من البحور العربية الستة عشر المعروفة وأطلقت عليها اسم "الشعر الحر" يعني الشعر الذي تحرر من قيود الأوزان العروضية ومن نظام القوافي.

وبالـــرغم مـــن ذلك أنها قامت بدور ريادي في الشعر الحر ودعت الشعراء الآخرين إليه وحثتهم على الشعر الحر. فقد أشارت في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" إلى بعض عيوب الشعر الحر وهي الرتابة والتدفق والمدى المحدود وأشارت كذلك إلى مناقص مردها عدم التزامهم الدقيق بقواعد الشعر الحر.

وهكـــذا قد ساهمت نازك الملائكة في الأدب العربي مساهمة عظيمة وأضافت بابـــا جديداً إلى الأدب العربي بشعرها الحر الذي كان يفقد المثيل في السابق. ويتسم شعرها بالحساسية والألم الحاد والوجع العنيف كما تظهر ذلك أشعارها المختارة التي ذكرتها في نهاية البحث.

وطبعاً بدأ الشعر الحر يتطور وينمو ويحظى قبولا حسناً لدى قلوب الناس.

والله ولي التوفيق

المراجع والمصادر

١- الدكتور وميض جمال عمر نظمي: الجذور السياسية والفكرية والإجتماعية للحركة، القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، حقوق النشر محفوظة للمركز، مارس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

٢- أبو سعد أحمد: الشعر والشعراء في العراق، بيروت، ١٩٠٠-١٩٥٨م.

٣- اسعد : الشعر والشعراء في العراق، بيروت، ١٩٥٦م.

٤- البصير محمد مهدي: تاريخ القصة العراقية، بغداد، ١٩٢٤م.

٥- حياة شرارة: صفحات من حياة نازك الملائكة، رياض، الريس للكتب والنشر، المملكة المتحدة، ١٩٩٤م.

٦- منذر الجبوري: شعراء عراقيون، الجمهورية العراقية وزارة الاعلام، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

٧- الدكتور يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، المجمع العلمي العراقي الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٥م.

٨- س- سورية:الشعر العربي الحديث تطور أشكاله و موضوعاته بتأثر الأدب الغربي، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، القاهرة،

٩- دكتور فرحانة صديقي: نازك الملائكة وآثارها الأدبية والشعرية، حقوق الطبع محفوظة، الطبع الأولى، ٢٠٠٢م.

١٠-دكتور فرحانة صديقي: مساهمة المرأة في الأدب العربي، حقوق الطبع محفوظة، الطبع الأولى، ١٩٩٤م.

١١-الدكـــتور شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الجزيرة العربية- العراق، ايران، دار المعارف

١٢-دكـــتور محمـــد يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديـــث، دار حافظـــة للطباعة والنشر، الجـــزء الثالث، مدراس، ١٩٨٤م.

١٣-نـــازك الملائكـــة: قضايا الشعر المعاصر، درا العلم للملايين بيروت، ١٩٨٣م.

١٤-نازك الملائكة: عاشقة الليل، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.

١٥-نازك الملائكة: شظايا ورماد، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.

١٦-نازك الملائكة: قرارة الموجة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦م.

١٧-نازك الملائكة: شجرة القمر، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

١٨-نـــازك الملائكـــة: مأساة الحياة وأغنية للإنسان "مطولة شعرية"، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م

١٩-يوســـف عـــز الدين: شعراء العراق في القرن العشرين، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٩م.

٢٠-عـــبد الرزاق الحسني: تاريخ العراق السياسي الحديث، الجزء الأول، مطبعة العرفان، لبنان، ١٩٥٧م.

٢١-حســـين صعب: حول الشعر الحر، ص٦١،٦٠، مجلة الآداب، ديسمبر ١٩٦٢م.

٢٢-بنت الشاطئ: قرارة الموجة، ديوان نازك الملائكة، العدد الأول، أبريل ١٩٥٧م.

٢٣-بدوي أحمد طبانة: أدب المرأة العراقية، دار العلم العربي، ١٩٤٨م.

٢٤-عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم والملايين، ١٩٤٨م.

٢٥-موسى سليمان: خواطر في الأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٦-عباس توفيق: نقد الشعر العربي الحديث في العراق من ١٩٢٠-١٩٥٨، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٨م.
٢٧-يوسف عز الدين: الشعر العراقي، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٨-عبد الجبار بصري: نازك الملائكة دوائر والوان "مجلة أقلام"، العراق، ١٩٩٢م.
٢٩-جليل كمال الدين: الشعر العربي الحديث وروح العصر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م.
٣٠-أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت
٣١-يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٠م.
٣٢-عصفور (محمد) موقفان تجاه الشعر الحر (مجلة الآداب)، ١٩٦٠م.
٣٣-بهار (امير جند)، نسيم مغرب، علي جراه، انجمن ترقي اردو، ١٩٦٣م.
٣٤- علي الخاقاني: شعراء بغداد، من تأسيسها حتى اليوم، مطبعة أسعد، الجزء الأول، بغداد، ١٩٦٢م.
٣٥-سلامة موسى، نازك الملائكة، نهاد التكرلي: النزعة الإنسانية في الأدب العربي الحديث، سبتمبر ١٩٥٣م.
٣٦-نازك الملائكة: لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، مطبوعة على الآلة الكاتب.
٣٧-عيسى بلاطة: بدر شاكر السياب، حياته وشعره، دار الشؤن الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

٣٨-السيد عبد الرزاق الحسيني: العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، ١٩٥٨م.
٣٩-دكتور عبد الجليل الطاهر: العشائر العراقية، جامعة بغداد، ١٩٧٢م.
٤٠-عبد الرزاق الهلالي: دراسات وتراجم عراقية، مكتبة النهضة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٧٢م.
٤١-عباس الفراوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٢م.

محتويات البحث

المقدمة ١-٥

الباب الأول: صور من حياة نازك الملائكة ٦-٣٤

الفصل الأول : الأوضاع السياسية والإجتماعية ٦

قبل وبعد مولد نازك الملائكة بالإيجاز.

الفصل الثاني : أسرة نازك الملائكة ١١

الفصل الثالث : نشأة نازك الملائكة وحياتها العلمية ٢٢

الباب الثاني : في الشعر الحر ٣٥-٥٣

الفصل الأول : الشعر الحر باعتباره حركة ٣٥

الفصل الثاني : الشعر الحر باعتباره العروضي ٤٦

الباب الثالث : نازك الملائكة والشعر الحر ٥٤-٩٩

الفصل الأول : نازك الملائكة ومساهمتها في الشعر الحر ٥٤

الفصل الثاني : مختارات من قصائد نازك الملائكة ٧٠

الخاتمة ١٠٠-١٠٢

المراجع والمصادر ١٠٣-١٠٦

Jawaharlal Nehru University
Library

NAZIK AL MALAIKA AND HER CONTRIBUTION TO THE FREE VERSE IN THE ARABIC POETRY.

DISSERTATION

Submitted to the Jawaharlal Nehru University
in Partial Fulfilment of the Requirements for the
award of the degree of

Master of Philosophy

By
Sibghatullah

Supervisor
Prof. F.U. Farooqui

Centre of Arabic & African Studies
School of Language Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

2003